تفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . ﴿يسٓ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد يا إنسان ، قال : وهي بلغة طي» ، وهو قول الكلبي وعكرمة والضحاك ومقاتل والحسن[١] .

وقال ابن الحنفية : «يا محمد» ، وهو قول سعيد بن جبير[٢] .

وقال أبو العالية : «يـا رجل»[٣] . وهذان القولان كالأول ، تفسـير لذلك الإنسان المنادى .

---

(١) انظر : اللغات في القرآن ٥٣ ، وتفسـير الطبري ٢٢/ ١٤٨ ، وتفسـير الماوردي ٥/ ٥ ، وزاد المسـير ٧/ ٣ ، وتفسير مقاتل :ص١٠٥ أ .

(٢) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٢ أ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٥ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤٥ ، وزاد المسير ٧/ ٣ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٤/ ٥ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٥٠ .

وقال عطاء : «هي بالسريانية . وقيل : بالحبشة» . روي ذلك أيضاً عن ابن عباس[١] . فمَن قال بهذا ، قال : إنهم يقولون : يس ، ويريدون به يا إنسان ، ثم تكلمت العرب به فصار من لغتهم ، كما ذكر أنها من لغة طي ، ووجهه من العربية أنه اكتفى بالسين من إنسان كما يكتفي بالحرف الواحد من الكلمة .

وقال مجاهد : «﴿يسٓ﴾ فواتح من كلام الله يفتح بها كلامه»[٢] .

واختلف القُرَّاء في إظهار النون من ﴿يسٓ﴾ وإخفائه ، فقرأوا بالوجهين ، وكلامهم جائز صحيح ؛ فمَن أظهر فلأن هذه الحروف مبنيَّة على الوقف يدل على ذلك استجازتهم فيها الجمع[٣] بين ساكنين كما يجتمعان في الكلم التي يوقف عليها ، فلمَّا جاز فيها الجمع بين ساكنين من حيث كان التقدير فيها الوقف استجيز معها تبيين النون في الإدراج وإن كانت النون الساكنة تجيء مع حروف الفم ؛ لأن التقدير بها الوقف . ومَن أخفى فلأنه وإن كان في التقدير الوقف لم يقطع فيه همزة الوصل ، وذلك قولهم : ألم الله ، ألا ترى أنهم حذفوا همزة الوصل كما تحذف في الكلم التي توصل ، فلا يكون التقدير فيها الوقوف عليها ، وكذلك قالوا : واحد اثنان ، فحذفوا همزة الوصل ، وإذا صار في تقدير الوصل أوجب أن لا تبين معها النون[٤] .

٢ـ٣ . قوله تعالى : ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «أقسم الله بالقرآن المحكم أنك لمن المرسلين ؛ وذلك أن كفار

(١) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٥ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤٥ ، وزاد المسير ٧/ ٣ ، والبحر المحيط ٧/ ٣١٠ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٤٨ ، وبحر العلوم ٣/ ٩٣ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٥ .

(٣) في (أ) : (الجميع) ، وهو خطأ .

(٤) انظر هذا الكلام بنصِّه مع اختلاف يسير في : الحجة ٦/ ٣٥ ، وانظر : حجة القراءات ٥٩٥ ، والحجة في القراءات السبع ٢٩٧ .

مكة قالوا له : لست مرسلاً ، وما أرسل الله إلينا رسولاً ، فأقسم الله بالقرآن أن محمداً من المرسلين»[١] .

٤. ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : «على [دين][٢] مستقيم ، يعني دين الإسلام ؛ لأن الأديان كلها غير الإسلام [ليس][٣] بمستقيم»[٤] .

قال أبو إسحاق : «أي على طريق الأنبياء الذين تقدموك ، قال : وأحسن ما في العربية أن يكون ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ خبر إن ، ويكون ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ خبراً ثانياً . والمعنى : إنك لمن المرسلين ، وإنك على صراط مستقيم ، قال : ويجوز أن يكون على صراط من ملة المرسلين ، فيكون المعنى : إنك من المرسلين الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة»[٥] . وذكر الفرَّاء أيضاً الوجهين في قوله : ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ كما ذكر الزَّجَّاج[٦] .

٥. قوله تعالى : ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ : (تنزيل) يُقرَأ بالرفع والنصب ؛ فمَن قرأ بالنصب فعلى المصدر ، على معنى : نزَّل الله ذلك تنزيلاً من العزيز الرحيم ، ثم أضيف المصدر فصار معرفة ، كما قال : ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد :٤] ، على معنى : فضرباً للرقاب ، وهذا قول الزَّجَّاج وأبي علي وصاحب النظم[٧] .

---

(١) ورد في تفسير القرطبي ١٥/ ٥ ، وتفسير مقاتل ١٠٥ أ ، وذكره غير منسوب البغوي في تفسيره ٥/ ٥ ، والطبري في مجمع البيان ٨/ ٦٥٠ .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٧ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٢٧٢ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٨ ، والحجة ٦/ ٣٦ .

ومَــن قرأ بالرفع فعلى معنى : الذي أُنزل إليــك تنزيل العزيز الرحيم ، وهو تنزيل ، أو على : تنزيل العزيز ، هذا قول مقاتل[١] : هذا القرآن هو تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه ، وقال الكلبي : «العزيز بالنقمة من[٢] لم يجب الرسل الرحيم بالمؤمنين»[٣] .

٦. قوله تعالى : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ . قال صاحب النظم : «هذا متصل بقوله : ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾» .

قوله تعــالى : ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ فيه قــولان : قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد كما أنذر آباؤهم من لدن إبراهيم وإسماعيل»[٤] .

وقال مقاتل : «كما أنذر آباؤهم الأولون»[٥] .

وقال عكرمة : «مثل ما أنذر آباؤهم»[٦] .

القول الثاني : قــال قتادة : «لتنذر قوماً لم يأتهم نذيــر قبلك»[٧] ، ونحو هذا قال الكلبــي[٨] ، وهو قول عامــة المفسرين[٩] . و﴿مَّآ﴾ على هــذا القول تكون

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

(٢) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (لمن) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٦ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٠ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٦ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٥٠ .

(٧) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٠ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٦ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٥٠ .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) انظر : تفســير الثعلبي ٣/ ٢٣٢ ب ، وتفســير الطبري ٢٢/ ١٥٠ ، وتفســير الماوردي ٥/ ٦ ، وبحر العلوم ٣/ ٩٣ .

[جحداً][١] . وذكر الفرَّاء والأخفش والزَّجَّاج القولين ، قال الفرَّاء : «لتنذر [قوماً][٢] لم ينفع[٣] آباؤهم ، ولا أتاهم رسول قبلك ، ويقال : لتنذرهم بما أنذر آباؤهم فتلقي الباء ، فيكون ﴿مَّآ﴾ في موضع نصب ، كما قال : ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ [فصلت :١٣]»[٤] ، وقال الأخفش : «أي لم تنذر آباءهم ؛ لأنهم كانوا في الفترة ، قال : وقال بعضهم : لتنذر الذي أنذر آباؤهم ، ثم اختار القول الأول ؛ لقوله : ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ ، ودخول الفاء على المعنى الثاني كأنه لا يجوز ، وهو على الأول أحسن»[٥] . هذا كلامه . ومعناه : أنك إذا جعلت ﴿مَّآ﴾ إثباتاً بمعنى الذي ، لم يحسن دخول الفاء في ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ ، فإذا جعلته نفياً حسن .

قال أبو إسحاق : «الاختيار أن ﴿مَّآ﴾ جحدٌ ؛ لأن قوله : ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ دليل على معنى : لم ينذر آباؤهم ، وإذا كان قد أنذر آباؤهم كان في قوله : ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ بُعدٌ ، قال : ودليل النفي قوله : ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ :٤٤]»[٦] .

٧. وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ . قال مقاتل : «وجب العذاب على أكثر أهل مكة ، قال : ويعني بالقول قوله لإبليس : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾ [ص :٨٥]»[٧] .

---

(١) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .
(٣) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (لم يُنذر آباؤهم) .
(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٧٢ .
(٥) معاني القرآن ٢/ ٤٨٨ .
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٨ .
(٧) تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

قال أبو إسحاق : «القول هاهنا ـ والله أعلم ـ مثل قوله : ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر :٧١]»[١] .

وقال صاحب النظم : «القول هاهنا : إيماء[٢] إلى القدر مقتصاً من قوله : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة :١٣]» . هذا كلامه . والمعنى أن قوله : ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ إشارة إلى الإرادة الأزلية السابقة بكفرهم ، وإذا سبقت الإرادة بكفرهم ، فمتى يؤمنون ؟ وهو قوله : ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

قال الزَّجَّاج : «بكفرهم وعنادهم أضلهم ومنعهم الهدى فهم لا يؤمنون»[٣] . [قال الزَّجَّاج : بكفرهم وعنادهم فهم لا يؤمنون][٤] .

٨. قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ : في هذه الآية والتي بعدها مذهبان ؛ أحدهما : مذهب المفسرين ، وهو أن الآية نزلت في أبي جهل ، قصد النبي ﷺ بحجر ليدمغه وهو يصلي ، فيبست يده إلى عنقه حتى عاد إلى أصحابه ، فذلك قوله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ ، وهذا قول مقاتل والكلبي[٥] ، والثاني : مذهب أهل

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٨ .

(٢) في (ب) : (أبا) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٨ .

(٤) ما بين المعقوفين تكرار ، وهو في النسخ جميعها .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٢ ، وبحر العلوم ٣/ ٩٤ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٦ ، وزاد المسير ٧/ ٦ ، وأصل الحديث في البخاري ، كتاب : التفسير (سورة اقرأ) عند قوله تعالى : ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ ٤/ ١٨٩٦ ، رقم الحديث ٤٦٧٥ من طريق عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ . وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ١٦١ : «رواه أبو نعيم في دلائل النبوة ، قال : وهو في أوائل سيرة ابن هشام من قول ابن إسحاق في كلام طويل» .

المعـــاني ، وهو أن هذا على طريق المثل ، ولم يكـــن هناك غل[١] ، أراد : منعناهم عن الإيمان بموانع ، وهذا قول أبي عبيدة[٢] .

وقال الفرَّاء : «معناه : إنَّا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله»[٣] ، وكان هذا الوجه أوضح ؛ لقوله في ما بعدُ : ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية .

﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ . قال الفرَّاء : «هي كناية عن الإيمان ولم يذكر ؛ وذلك أن الغـــل لا يكـــون إلَّا في اليمين والعنـــق ، جامعاً لليمين والعنـــق ، فكفى ذكر أحدهمـــا عن صاحبه ، كما قـــال : ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ [البقـــرة :١٨٢] ، فضم الورثة إلى الوصي ولم يذكروا ؛ لأن الصلح بما بقي من الوصي والورثة ، ومثله قول الشاعر :

ومـــا أَدري إذا يَمَّمتُ وَجهـــاً أُريـــدُ الـــخَيرَ أَيُّـــهُـــمـــا يَـــلـــيـــني[٤]

وإنما ذكر الخير وحده ، ثـــم قال : [أيهما][٥] ؛ وذلك أن الشر يذكر مع الخير ، وهي في قراءة عبدالله : (إنَّا جعلنا في أيمانهم) ، فكفت الأيمان عن ذكر الأعناق في حرف عبدالله ، وكفت الأعناق في قـــراءة العامة»[٦] عن ذكر الأيمان ، ونحو هذا قال الزَّجَّاج سواء ، قال : «ومثل هذا قوله : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ، ولم يذكر البرد ؛ لأن ما يقي الحر يقي البرد»[٧] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٧٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٠ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٥/ ٨ ، وفتح القدير ٤/ ٣٦١ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٧٣ .

(٤) البيت من الوافر ، وهو للمثقب العبدي في نونيته من ديوانه ٢١٢ ، والخزانة ١١/ ٨٠ ، ومن دون نسبة في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٧٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٢٧٩ .

(٥) هكذا جاء في النســـخ ، وما بين المعقوفين يظهر أنه زائد ؛ لأنه ليس في معاني القرآن للفرَّاء ، ولا معنى له كذلك .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٠ .

وقولــه : ﴿ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ . قال الفرَّاء : «المقمــح : الغاض بصره بعد رفع رأسه» ،[١][٢] هذا قول .

ونحو ذلك قال أبو إسحاق[٣] . ومعنى الإقماح في اللغة : رفع الرأس وغض البصر ، يقال : أقمح البعير رأسه وقمح .

قال أبو عبيد : «يقمح البعير قمح قموحاً إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء»[٤] .

وقال الأصمعي : «بعير قامح إذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب ، وجمعه قماح»[٥] . وأنشد الفرَّاء وجميع أهل اللغة قول بشر[٦] يصف سفينة :

ونحنُ علـى جَوانِبِهــا قُعُــودٌ نَغُـضُّ[٧] الـطَّرْفَ كـالإِبِـلِ القِماحِ

قال أبو إسحاق : «وقيل للكانونين :[٨] شهرا قماح ؛ لأن الإبل إذا وردت الماء ترفع رأسها لشدة برده[٩]»[١٠] .

---

(١) في (ب) : (صوته) ، وهو خطأ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٧٣ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٩ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (قمح) ٤/ ٨١ ، واللسان (قمح) ٢/ ٥٦٦ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (قمح) ٤/ ٨١ ، واللسان (قمح) ٢/ ٥٦٦ .

(٦) بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأســدي ، أبو نوفل ، شاعر جاهلي فحل ، عَدَّه ابن سلام في الطبقة الثانية من طبقات فحول أهل الجاهلية ، وهو من شجعان أهل نجد ، توفي سنة ٢٢قبل الهجرة . انظر : الشعر والشعراء ١/ ١٩٠ ، وطبقات فحول الشعراء ١/ ٩٧ ، والخزانة ٢/ ٢٦٢ .
والبيت من الوافر ، وهو في ديوان بشر ٤٨ ، ولسان العرب (قمح) ٢/ ٥٦٦ ، وتاج العروس (قمح) ٧/ ٦٣ ، وتهذيب اللغة (قمح) ٤/ ٨١ ، وأساس البلاغة (قمح) ٣٧٧ .

(٧) في (أ) : (يفض) ، وهو خطأ .

(٨) يقصد : شهري كانون الأول وكانون الآخر .

(٩) في (ب) : (برد) ، وهو خطأ .

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧٩ .

وأنشد أبو زيد للهذلي :

فَتًى مـــا ابـــنُ الأَغَرِّ إذا استويا وحُبَّ الزَّادُ ســـميا في شَهْرَيْ قُماحِ[1][2]

لكراهة كل ذي كبد شرب الماء ، والقمح نحو من قمح .

قال الأزهري : «وأراد جل وعز أن أيديهـــم إنما غلت عند أعناقهم ، رفعت الأغـــلال أذقانهم ورؤوســـهم صعداً كالإبـــل رافعة رأســـها»[3] . هذا كلامه ، وتأويله : فهم مقمحون ؛ أي مرفوعو الـــرؤوس برفع الأغلال إياها ، يدل عليه قول قتادة في تفسير ﴿ مُّقْمَحُونَ ﴾ ، قال : «مغلولون»[4] .

٩. قوله تعـــالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ ، ومضى الكلام في تفسير السد والقراءة فيه[5] .

قال مقاتل : «لـمَّـا عاد أبو جهل إلى أصحابه ، ولم يصل إلى ما قصد من النبي ﷺ ، وســـقط الحجر من يده ، أخذ الحجر رجل آخـــر من بني مخزوم ، وقال : أنا أقتله بهذا الحجر ، فلـمَّـــا دنا من النبي ﷺ طمـــس الله على بصره ، فلم يرَ النبي ﷺ ، ورجع إلى أصحابـــه ، فلم يبصرهم حتى نـــادوه ، فذلك قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا

---

(١) هكذا ورد البيت في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب :

فَتًى ما ابـــنُ الأَغَـــرِّ إذا شَتَوْنـــا وحُـــبَّ الـــزادُ في شَـــهْـــرَيْ قِـــماحِ

والبيـــت لخالد بن مالـــك الهذلي ، وهو مـــن الوافـــر في ديوان الهذليـــين ٣/ ٥ ، والمذكـــر والمؤنث لابن الأنباري ٥٣٢ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٨١ ، واللسان (قمح) ٢/ ٥٦٦ ، والبحر المحيط ٧/ ٣١٢ .

(٢) انظر : الدر المصون ٥/ ٤٧٦ ، والبحر المحيط ٧/ ٣١٢ .

(٣) «تهذيب اللغة» تهذيب اللغة ٤/ ٨١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥١ ، وبحر العلوم ٣/ ٩٤ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٥١ .

(٥) عنـــد قوله تعـــالى : ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف :٩٤] . قال المؤلِّف رحمه الله : «قُرِئ بالفتح والضم» ، وقال أبو عبيدة : «السُّـــد بالضم ، إذا كان مخلوقاً من فعل الله تعالى ، فإن كان من فعل الآدميين فهو سَد بالفتح» ، وهذا قول عكرمة والأخفش ، وقال الكسائي : «ضم السين وفتحها سواء» .

مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا ﴾ حين لم يرَ أصحابه»[١] ، ونحو هذا قال الكلبي[٢] . وقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد يمنعهم [من الهدى][٣] لمَّا سبق في علمه[٤] عليهم»[٥] ، وهذا موافق لمذهب أهل المعاني .

وقوله : ﴿ فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ ﴾ . قال الفرَّاء : «ألبسنا أبصارهم غشاوة»[٦] . قال ابن قتيبة : «أي عيونهم وأعميناهم عن الهدى»[٧] . والتأويل : أغشينا أعينهم بالعمى ، فحذف المضاف والمفعول الثاني للعلم بأن ما يلبس العين إنما هو العمى .

وقوله : ﴿ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد سبيل الهدى»[٨] . وذكر أبو إسحاق المذهبين ، فقال : «هذا فيه وجهان ؛ أحدهما : قد جاء في التفسير ، وهو أن جماعة أرادوا بالنبي ﷺ سوءاً ، فحال الله بينهم وبين ذلك ، فجعلوا بمنزلة من هذه حالة ممن غلت يده وسط[٩] طريقه من بين يديه ومن خلفه وجعل على بصره غشاوة ، قال : ويجوز أن يكون وَصَفَ إضلالهم ؛ أي أضللناهم فأسكنا أيديهم عن النفقة في سبيل الله والسعي في ما يقرب إلى الله كما قال عز وجل : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [البقرة :٧] ، قال : ودليل هذا القول قوله في أثر هذا :

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٥ ب .

(٢) انظر : بحر العلوم ٣/ ٩٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٤) في (أ) : (علمهم) ، وهو خطأ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٧٣ .

(٧) تفسير غريب القرآن ٣٦٣ .

(٨) ذكر في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ ، وأورد هذا القول القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٠ ، ونسبه إلى قتادة ، وأورده البغوي في تفسيره ٤/ ٦ من دون نسبة .

(٩) هكذا في النسخ جميعها ، والصواب : (وسُدَّ) ، كما في معاني القرآن وإعرابه .

١٠. ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ الآية ؛ أي مَن أضله الله هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار»[١] ، إنما ينفع الإنذار مَن ذكر في قوله : ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ ؛ أي إنما ينفع إنذارك هذا إلَّا[٢] مَن منعه الله عن الهدى ، فخصه الله بإنذار هؤلاء لـمَّا لم ينفع الإنذار من غيرهم موقعه ، فصار كأنه لم ينذرهم حيث لم ينفعهم ، لذلك قال :

١١. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ ؛ أي مَن استمع القرآن واتبعه . ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ : خاف الله -عز وجل- من حيث لا يراه أحد . ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبهم . ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ حسن ، وهو الجنة .

١٢. وقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ . قال ابن عباس : «يريد البعث»[٣] .

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ . قال مقاتل : «من خيرٍ أو شر فاقتدى بها[٤] من بعدهم» ، وهذا اختيار الفرَّاء والزَّجَّاج[٥] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٠ .

(٢) يظهر أن (إلَّا) هنا زائدة ؛ لأنها تفسد المعنى ، وأن هناك حرف ساقط ، فتكون الجملة حسب ما يظهر لي : «أي لا ينفع إنذارك هذا من منعه الله عن الهدى» .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) هنا نلحظ أن المؤلِّف اختصر في نقله عن مقاتل ، وهذا الاختصار قد يكون موهماً ، ففي تفسير مقاتل : «﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ من خير وشر ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ ما استَّنوه من سُنَّة خيراً وشراً ، فاقتُدي به من بعد موتهم» . اهـ .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٧٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨١ .

وهو قول سعيد بن جبير ، قال : «﴿وَءَاثَرَهُمْ﴾ : ما سنوا»[١] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : «ما آثروا من أثر خير أو شر[٢] ، كقوله : ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة :١٣]» .

وقال أنس وابن عباس في رواية عكرمة : «نزلت هذه الآية في بني سلمة ، أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب مسجد النبي ﷺ ، وكانت منازلهم بعيدة ، فلمَّا نزلت قالوا : بل نمكث مكاننا»[٣] . فعلى هذا معنى آثارهم : خطاهم ، وهو قول الحسن[٤] ، ومجاهد في رواية ابن أبي نجيح[٥] ، وقتادة[٦] .

---

(١) ذكر في معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٨١ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٩ ، وأورده السيوطي في الدر ٦/ ٤٨ ، ونسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ .

(٣) ورد هذا الحديث بطرق عدَّة ، منها ما ورد عن أنس ، وقد أخرجه ابن ماجه في سننه ، أبواب : المساجد ، باب : الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً ١/ ١٤١ ، رقم ٧٦٨ ، وأخرجه ابن شيبة في المصنف ٢/ ٢٠٧ ، ومنها ما ورد عن ابن عباس ، وقد أخرجه ابن ماجه أيضاً في سننه : أبواب : المساجد ، باب : الأبعد فالأبعد عن المسجد أعظم أجراً ١/ ١٤١ ، رقم ٧٦٩ . وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٤٦ ، وقال : «أخرج الفرياني وأحمد في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن ماجه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، عن ابن عباس» .
وهناك رواية أخرى للحديث ، أخرجها الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الصلاة ، باب : فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/ ٤٦٢ ، رقم ٦٦٥ عن جابر بن عبدالله ـرضي الله عنهـ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٤ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٥ .

(٥) انظر : تفسير مجاهد ٥٣٣ ، وانظر أيضاً : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٨١ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٩ .

(٦) انظر : تفسير الطبري٢٢/ ١٥٥ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢١ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٥ .

وقال عمر بن عبدالعزيز : «لو كان الله تاركاً لابن آدم شيئاً لترك ما عبث[١] عليه الرياح من أثر»[٢] .

وقال مسروق : «ما خطا رجل خطوة إلَّا كتب حسنة أو سيئة»[٣] .

وروي عن مجاهد ، قال : «ما قدَّموا من خير ، وآثارهم : وما أورثوا من الضلالة»[٤] ، فعلى هذا ما قدَّموا بالخير وخص الآثار ما يبقى بعدهم من آثار الضلالة وسُنَّتها .

وقوله : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ ﴾ . قال الفرَّاء : «القُرَّاء يجمعون على نصب كل لما وقع من الفعل على راجع»[٥] ، يعني الكناية في قوله : ﴿ أَحْصَيْنَاهُ ﴾ ، والاختيار أن يقول :[٦] ضربت زيداً وعمراً كلمته ، ينتصب عمراً لسبق الفعل قبله ، وهاهنا أيضاً سبق الفعل ، وهو قوله : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾ ، ويجوز الرفع على الاستئناف[٧] .

---

(١) هكذا في النسخ ، والصواب : (عفت) .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٠ ، وزاد المسير ٧/ ٨ . وأخرج هذا الأثر الطبري ٢٢/ ١٥٥ عن قتادة ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٤٧ ، ونسبه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٣) انظر : الدر المنثور ٧/ ٤٧ ، وقد نسبه إلى عبد بن حميد .

(٤) ذكر في فتح القدير ٤/ ٤٦٢ ، وقد أورد هذا القول بعض المفسرين ، لكنه منسوب إلى غير مجاهد ، فأورده الماوردي في تفسيره ٥/ ٩ ، ونسبه إلى سعيد بن جبير ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٩ ، ونسبه إلى ابن عباس وسعيد بن جبير ، قال : «وهو اختيار الفرَّاء وابن قتيبة والزَّجَّاج» .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٧٣ .

(٦) في (ب) : (تقول) .

(٧) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٨٦ ، والدر المصون ٥/ ٤٧٧ .

وقال مقاتل : «﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ ﴾ من الأعمال ما[١] ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ بيَّنَّاه» .

قال ابن عباس : «حفظناه»[٢] .

ومعنى الإحصاء في اللغة : «العد ، والعد يكون للبيان ، ويكون للحفظ»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «في اللوح المحفوظ»[٤] .

وقال مجاهد : «يعني أم الكتاب»[٥] .

قال أهل المعاني[٦] : «وفي ذلك اعتبار الملائكة ؛ إذ قابلوا به ما يحدث من الأمور ، وكان فيه دليل على معلومات الله -عز وجل- التفصيل» .

١٣. وقوله تعالى : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد لقومك»[٧] ، وقال مقاتل : «صف لهم يا محمد شبهاً يعني -لأهل مكة- أصحاب القرية»[٨] .

---

(١) (ما) هنا زائدة ، وليست في تفسير مقاتل . انظر : تفسير مقاتل ١٠٥ ب .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٨ من دون نسبة .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (حصا) ٥/ ١٦٤ ، واللسان (حصى) ١٤/ ١٨٤ .

(٤) ذكر في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ ، وتفسير مقاتل ١٠٥ ب ، وأورده الماوردي في تفسيره ٥/ ٩ ، ونسبه إلى السُّدِّي ، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ١٣ ، ونسبه إلى مجاهد وقتادة وابن زيد .

(٥) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٥ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٩ .

(٦) لم أقف على هذا القول عند أحد من أهل المعاني ، فلعله وَهْم من المؤلِّف .

(٧) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٦٩ .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٥ أ .

قال أبو إسحاق : «أصحاب القرية بدل من مثل ، كأنه قال : اذكر لهم أصحاب القرية»[١] ؛ أي خبِّر أصحاب القرية ، هي أنطاكية[٢] في قول الجميع[٣] .

وقوله : ﴿ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ : يعني رسل عيسى عليه السلام ؛ وذلك أنه بعث رسولين من الحواريين إلى أنطاكية يدعوان الناس إلى عبادة الله عز وجل .

١٤. وقوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ ﴾ بدل من قوله : ﴿ إِذْ جَآءَهَا ﴾ . والمعنى : إذ جاؤوها[٤] بإرسالنا إليهم اثنين وكانا رسولي عيسى ، وأضاف الله تعالى الإرسال إلى نفسه ؛ لأن عيسى أرسلهما بأمر الله تعالى . قال الكلبي : «وكان ذلك حين رُفع إلى السماء»[٥] .

وقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾ . قال ابن عباس : «فضربوهما وحبسوهما»[٦] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨١ بمعناه .

(٢) أنطاكية : بلد من بلدان الجمهورية العربية السورية ، قال ياقوت في معجم البلدان ١/ ٢٦٦ : «أول مَن بني أنطاكية أنطيخس ، وهو الملك الثالث بعد الإسكندر ، فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية ؛ لأنها من أعيان البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة ، والحسن ، وطيب الهواء ، وعذوبة الماء ، وكثرة الفواكة ، وسعة الخير» .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٨٢ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٠ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٤ ، وقد استشكل الحافظ ابن كثير هذا القول وردَّه من وجوه . انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٩ .

(٤) في (أ) : (جائها) .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : الوسيط ٣/ ٥١١ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٥٤ .

﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ . قال أبو إسحاق : «فقوَّينا وشددنا الرسالة برسول ثالث»[١] ، وهو قول جميع المفسرين[٢] .

قال المُبرِّد وأبو علي : «مَن : (قرأ فعزَّزنا) بالتشديد ، فالمعنى : شددنا وقوَّينا ، ومَن قرأ بالتخفيف ، فمعناه : قهرنا[٣] وعلينا من قوله عز وجل : ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص :٢٣]» ، وأنشد أبو علي لجرير :

أَعُزُّكَ بالحجازِ وإنْ تَسَهَّلْ يعزِ[٤] الأرضَ يُنتَهبُ انتهاباً[٥][٦]

قال أبو عبيد : «وقراءتنا بالتشديد ؛ لأن تأويل عززنا : غلبنا»[٧] . والتفسير الأول أشبه بالمعنى . [وقال الفرَّاء : عززنا][٨] . وعززنا كقولك : شددنا وشدَّدنا بالتخفيف والتثقيل[٩] ، ونحو ذلك قال الزَّجَّاج . ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ : يعني الرسل لأهل أنطاكية . ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ . قالوا لهم :

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٦ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٠ ، وزاد المسير ٧/ ١١ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٤ .

(٣) في (ب) : (قهرنا) .

(٤) هكذا في النسخ ، والصواب كما في الديوان والحجة : (بغور) .

(٥) البيت من الوافر لجرير في ديوانه ٦٥ ، وهو من قصيدة طويلة يهجو بها الراعي النميري . انظر : الحجة ٦/ ٣٨ .

(٦) لم أقف على قول المُبرِّد ، وانظر : الحجة ٦/ ٣٨ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (عز) ١/ ٨٣ .

(٨) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .

(٩) معاني القرآن ٢/ ٣٧٤ .

١٥. ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ . قال مقاتل : «يعني ما نرى لكم علينا من فضل في شيء» . ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ﴾ : يعني لم يرسل رسولاً . ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ بأنكم رسول الله[١] .

١٦. ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ وإن كذبتمونا .

١٧. ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ : وما علينا إلَّا أن نبلغ ونبيِّن لكم بأن الله الواحد [لا شريك][٢] له .

١٨. فقال القوم للرسل : ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ : يعني تشاءمنا بكم ؛ وذلك أن المطر حُبس عليهم ، فقالوا : أصابنا هذا الشر من قبلكم . ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ﴾ : لئن لم تسكنوا . ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ : لنقتلنكم . قال الفرَّاء : «كقوله : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [هود :٩١] يريد القتل ، وعامة الرجم في القرآن القتل»[٣] .

١٩. ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ . قال ابن عباس : «يريد شؤمكم معكم»[٤] ، وهو لفظ الزَّجَّاج[٥] ، وقال الضحاك عن ابن عباس : «طائركم حظكم من الخير والشر»[٦] ، واختاره الفرَّاء ، فقال : «أي ما كان من خير وشر فهو في رقابكم لازم لكم»[٧] .

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٦ أ .

(٢) ما بين المعقوفين مكرر في (ب) .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٧٤ .

(٤) ذكر في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٠ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٥١ ، وعزاه إلى ابن المنذر .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٢ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٥/ ١٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٩ .

(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٧٤ .

وهـذا معنى قول مقاتل ، يعني الذي أصابكـم كان مكتوباً في أعناقكم[١] . وهذان القولان في الطائر ذكرنا استقصاهما عند قوله : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف :١٣١] ، وقولـه : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء :١٣] . وتم الـكلام هاهنا ، ثم قال لهم : ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ . قـال مقاتل : «أين وعظتم بالله وتطيرتم[٢] بنا ، وجواب الاستفهام محذوف» ، وهو ما ذكره مقاتل[٣] .

قال أبو علي : «كأنهم قالوا أين ذكرتم تشاءمتم[٤] ، فحذف الجواب لتقدُّم ما يدل عليه ، وهو قوله : ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ ؛ لأن معنى تطيرنا تشـاءمنا»[٥] ، ثم بيَّنوا أن الأمر ليس على ما قالوا وشـؤمهم إياهم من قبلهم ، وهو قوله : ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ .

قال ابن عباس ومقاتل : «مشركون بـالله»[٦] ، يعني أنهم جاوزوا الحد حين أشركوا بالله .

٢٠. وقولـه : ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ . قال المفسرون[٧] : «هو حبيب النجار ، وكان قد آمن بالرسـل عند[٨] ورودهم القرية» . قال وهب : «وكان منزله عند أقصى باب من أبواب القرية ، فلـمَّـا بلغه أن

(١) تفسير مقاتل ١٠٦ أ .
(٢) تفسير مقاتل ١٠٦ أ . والواو في قوله : (وتطيرنا) زائدة من النساخ .
(٣) وهو قوله : (تطيرتم بنا) .
(٤) في (ب) : (شائمتم) .
(٥) الحجة ٦/ ٣٩ .
(٦) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٠ ، وتفسير مقاتل ١٠٦ أ .
(٧) انظر : تفسـير مقاتل ١٠٦ أ ، وتفسـير الطبري ٢٢/ ١٥٨ ، وبحر العلوم ٣/ ٩٧ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٣ .
(٨) في (ب) : (حين) .

قومه قد كذَّبوا الرسل وهمُّوا بقتلهم جاءهم ، وقال : ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾»[١] .

وقال قتادة ومقاتل : «إنه كان رجلاً يعبد الله في غارٍ فلمَّا سمع بالرسل جاءهم فقال : أتسألون أجراً على ما جئتم به ؟ قالوا : لا ، فقال لقومه :

٢١ . ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ : يعني الرسل»[٢] .

قال محمد بن إسحاق : «أي ما يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ فاتبعوهم تهتدوا بهداهم»[٣] .

قال مقاتل : «فلمَّا قال هذا أخذوه فرفعوه إلى الملك ، فقال له : برئت منَّا وتبعت عدونا»[٤] .

وقال ابن عباس : «قال لهم[٥] الملك : أفأنت تتبعهم ؟

٢٢ـ٢٥ . فقال : ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ إلى قوله : ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾»[٦] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٨ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٨٧ ، وتفسير مقاتل ١٠٦ ب .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٥٩ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٨ .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

(٥) هكذا جاءت في النسخ ، ومقتضى السياق : (له) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٦٠ .

قال محمد بن إسحاق : «إني آمنت بربكم الذي كفرتم به ، فاسمعوا قولي»[١] ، وقال كعب : «إنه قال لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ، ثم أقبل على الرسل ، فقال : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ ليشهدهم على إيمانه»[٢] ، فعلى هذا الخطاب للرسل ، وعلى ما قال محمد بن إسحاق الخطاب لقومه .

وقال الكلبي : «﴿ فَٱسْمَعُونِ ﴾ يريد : فاشهدوا لي»[٣] .

ومعنى فاسمعوا : اسمعوني ؛ أي اسمعوا مني ، قال ذلك أبو عبيد[٤] .

وقال المُبرِّد : «فاسمعون ؛ أي اسمعوا مني»[٥] ، وهذا مثل قولك : سمعت فلاناً يقول ، وإنما المسموع قوله ، ولكنه من المختصر المحذوف ، وهو أكثر الكلام يجري على الألسنة ، وحق الكلام أن تقول : سمعت من فلان ما قال . قال ابن عباس : «فوثب عليه أهل مملكته حتى قتلوه»[٦] .

وقال مقاتل : «وُطئ حبيب حتى خرج أمعاؤه من دبره ، ثم ألقي في البئر وهو الرس ، فهم أصحاب الرس ، وقتلوا الرسل الثلاثة»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٦٠ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٨ .

(٢) ذكر في المحرر الوجيز ٤/ ٤٥١ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٩ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٥١ ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : زاد المسير ٧/ ١٣ .

(٤) انظر : زاد المسير ٧/ ١٣ .

(٥) لم أقف عليه .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٦١ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٨ .

(٧) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

وقال محمد بن إسحاق : «وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه ، وكان رجلاً قد أسرع فيه الجذام ولم[١] له أحد يدفع عنه»[٢] .

وقال ابن مسعود : «وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره»[٣] .

قال كعب : «أُخذ فقُذف في النار»[٤] .

وقال قتادة : «هذا رجل دعا قومه إلى الله -عز وجل- ومحضهم النصيحة فقتلوه على ذلك وأقبلوه يرجمونه ، وهو يقول : اللهم اهدِ قومي ، فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق»[٥] ، وهو قوله :

٢٦. ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى : فلمَّا عذبوه[٦] قومه ، قيل : ادخل الجنة ، فلمَّا شاهدها قال : ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾»[٧] .

وقال مقاتل : «لمَّا ذهب بروح حبيب إلى الجنة ودخلها وعاين ما فيها من النعيم ، تمنى فقال[٨] :

٢٧. ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾» . اختلفوا فيها ؛ فقال الكسائي : «بالذي غفر لي ربي ؛ أي بمعرفته ، فعلى هذا هو

---

(١) هكذا في النسخ ، والظاهر وجود كلمة ساقطة هي : (يكن) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٦١ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٦١ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥١ ، وزاد المسير ٧/ ١٣ .

(٤) أورده السيوطي في الدر ٧/ ٥١ ، ونسبه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٥) أورده الطبري في تفسيره ٢٢/ ١٦٠ ، وقد ذكر القول إلى قوله : «اللهم اهدِ قومي» ، وأورد هذا القول بتمامه القرطبي في تفسيره ١٥/ ١٩ ، ونسبه إلى الحسن ، والزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٣ عن قتادة .

(٦) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (عذبه) .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٣ .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

﴿ مَا ﴾ المصـــدر ؛ لأنه مع الفعل بمنزلة المصدر»[١] . قال الفرَّاء : «ولو جعلت ﴿ مَا ﴾ في موضع أي كان صواباً ، ويكون المعنى : ليتهم يعلمون بأي شيء غفر لي ربي»[٢] ، فقال الكســائي : «لو كانت كذلك لكانت ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴾ بنقصــان الألف كما تقول : ســلْ عمَّ شــئت[٣] ، وكقوله : ﴿ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾» . قال الفرَّاء : «يجوز أن يكون تماماً وهو استفهام» ، وأنشد :

إنَّـا قَتَلْنَـا بقَتْلاَنَــا سَـرَاتَـكُــمُ أهلَ اللــواءِ فَفيمَا يكثــرُ القِيلُ[٤]

وذكر أبو إسحاق الوجهين ، فقال : «أي بمغفرة ربي ، قال : وقيل : أي ليتهم يعلمون بالعمل والإيمان الذي غفر لي به ربي ، قال : وحذف الألف في هذا المعنى أجــود»[٥] ، وهذا قول مقاتل ، قال : «يعني بأي شيء غفر لي ربي ؛ أي إنما غفر لي باتباعي المرسلين ، فلو علموا لآمنوا بالرسل ، فنصح لهم في حياته وبعد موته»[٦] . وروى عطاء عن ابن عباس في هذه الآيــة ، قال : «قال محمد ﷺ : «نصح لقومه حياً وميتاً»[٧] ، وقال قتادة : «تمنى الرجل –والله أعلم– أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله ، وذلك قوله : ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ : أي من المدخلين الجنة»[٨] ، قاله

(١) انظر : الدر المصون ٥/ ٤٧٩ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ١٩ ، والبحر المحيط ٧/ ٣١٦ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٧٤ ، وانظر : المراجع السابقة .

(٣) انظر : المراجع السابقة .

(٤) البيت من البســيط ، وهو لكعب بن مالك في ديوانه ٢٥٥ ، وخزانة الأدب ٦/ ١٠٦ . والشــاهد فيه قوله : «ففي ما» ؛ حيث أثبت ألف (ما) الاســتفهامية المتصلة بحرف الجر . وسراة القوم : خيارهم ، والقول والقيل واحد . انظر : الخزانة ٦/ ١٠٧ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٣ .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

(٧) ذكر في تفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٨ ، وقد أورده السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٩٨ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٥١ من دون نسبة .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢٢/ ١٦١ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٠ .

الزَّجَّاج[١] . وحبيب هذا الذي يقال له : صاحب يس ، قال فيه رسول الله ﷺ : «سباق الأمم ثلاثة : صاحب يس حبيب النجار [مؤمن][٢] آل يس ، وحزقيل مؤمن آل فرعون ، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم»[٣] .

وروي عن علي بن زيد بن جدعان أن عروة بن مسعود الثقفي صعد سور الطائف ، فشهد أن لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله ، فرماه رجل من قومه بسهم فقتله ، فقال النبي ﷺ : «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صاحب يس»[٤] .

قال ابن مسعود : فلمَّا قتلوا حبيباً ، غضب الله لاستضعافهم إياه غضباً لم يبق من القوم شيئاً ، وعجَّل الله لهم[٥] النقمة بما استحلوا منه ، فقال قومه :

٢٨ . ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ : يعني الملائكة[٦] ، قاله مقاتل[٧] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٣ .

(٢) ما بين المعقوفين بياض في (ب) .

(٣) هذا الأثر أخرجه الثعلبي في تفسيره ٣/ ٢٣٥ أ بسنده عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه ، وأورده الطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٥٩ ، ونسبه إلى الثعلبي ، وأورده الزمخشري في الكشاف ٣/ ٢٨٣ . قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ١٦٢ : «رواه الطبراني بنقص في معجمه من حديث حسين بن حسن الأشقر ، عن سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، ورواه كذلك ابن مردويه في تفسيره ، والعقيلي في الضعفاء ، وأعلَّه بحسين الأشقر ، وقال : إنه شيعي متروك ، ولا يعرف هذا إلَّا من جهته ، وهو حديث منكر ، ورواه بلفظ المصنف الثعلبي من حديث عمرو بن جميع ، عن محمد بن أبي ليلى ، عن أخيه عيسى بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه . قال : وفيه عمرو بن جميع ، وهو متروك» . اهـ .

(٤) هذا الأثر أورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ٥٦٨ ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم ، وذكره ابن حجر في الإصابة ٢/ ٤٧٠ عن ابن إسحاق ، وكذا ابن عبدالبر في الاستيعاب ٣/ ١١٢ ، وابن الأثير في أسد الغابة ٣/ ٤٠٦ .

(٥) في (ب) : (عليهم) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ١ .

(٧) تفسير مقاتل ١٠٦ ب .

وقال ابن مسعود : «أي ما كابدناهم بالجوع ؛ أي الأمر أيسر علينا من ذلك»[١] .

وقال الكلبي : «لم يبعث إليهم الملائكة»[٢] .

وقال الضحاك : «ما استغثنا بأهل السماء عليهم»[٣] .

وقال أبو إسحاق : «لم ننتصر للذين[٤] قتلوه بجند»[٥] .

هذا الذي ذكرنا قول جميع أهل العلم والتفسير .

وقال مجاهد : «أي لم نبعث إليهم رسالةً بعده من السماء ولا أتاهم نبي»[٦] . والقول ما عليه الناس . وقوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ على قوله : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ . والباقون جعلوا هذا توكيداً لأول الكلام[٧] .

وأنكر صاحب النظم القولين جميعاً ، فقال : «لا يجوز أن يكون المعنى : لم ينزل على أحد جنداً ؛ لأنه أنزل الجند على أهل بدر وحنين ، ولا يجوز أن يكون مكرراً على ما قبله ؛ لأنه لا يكون نظماً حسياً ، وفيه أيضاً حمل الكلام على التكرير ، ولكن (ما) هاهنا اسم . والمعنى : لم ينزل عليهم حتى أهلكناهم جنداً من السماء ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ولا ما كنَّا ننزله على مَن قبلهم من الأمم ؛ إذ أهلكناهم بمثل

---

(١) انظر : تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣١٩٢ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٠ .

(٢) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ١١ ، وزاد المسير ٧/ ١٤ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٠ .

(٣) لم أقف عليه عن الضحاك ، وقد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣١٩٣ عن ابن مسعود .

(٤) هكذا في النسخ ، والصواب : (للذي) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٣ .

(٦) انظر : تفسير مجاهد ٥٣٤ .

(٧) في (ب) : (للكلام) ، وهو خطأ .

الماء للغرق والصاعقة والريح» ، وهذا في النظم كقوله : ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ ولا[1] على الذي فطرنا . وعلى ما ذكر صاحب النظم ما يكـــون معطوفاً على قوله : من جندٍ ؛ أي لم ينزل عليهم [جنداً][2] ، ولا ريحاً ، ولا صاعقةً ، ولا ماءً ، ثم بيَّن أيش[3] كانت عقوبتهم ، فقال :

٢٩. ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ . قـــال ابـــن عباس ومقاتل والكلبـــي : «كانت صيحة من جبريل ، أخـــذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فإذا هم ميتون لا يســـمع لهـــم صوت ، مثل النار إذا أُطفئت»[4] .

قال ابن مســـعود : «أهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكيـــة ، فبادوا عن وجه الأرض ، ولم يبـــَق منهم باقية»[5] ، وقال قتـــادة : «ما نوظروا بعد قتلهم إياه حتى أخذتهم الصيحة»[6] .

قال الزَّجَّاج : «ما كانـــت عقوبتهم إلَّا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ؛ أي ساكتون ، قد ماتوا وصاروا بمنزلة الرماد الخامد»[7] .

٣٠. وقولـــه تعـــالى : ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ : معنى الحسرة في اللغة : أشـــد الندامة ، وذكرنا اشتقاقها

---

(١) (لا) ساقطة من (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين طمس في (ب) .

(٣) يعني : أي شيء .

(٤) ذكر هذا القول البغوي في تفســـيره ٤/ ١١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٤ ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ٥٦٩ ، والشوكاني في فتح القدير ٤/ ٣٦٧ ، ونسبوه إلى أكثر المفسرين .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٩ .

(٦) انظر : المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٦٩ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٣ .

في ما تقدَّم[١] ، وهذه نكرة موصوفة . قال الفرَّاء : «والعرب إذا نادت نكرة موصولة بشيء آثرت النصب ، يقولون : يا رجلاً كريماً أقبل ، ويا راكباً على البعير أقبل»[٢] .

وقال المُبرِّد : «نصبه كنصب نداء النكرة ، كقولك : يا رجلاً أقبل ، ومثله قول الصلتان :

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُهُ[٣] جريرٌ[٤] ولكنْ في كليبٍ تواضعُ»[٥]

ومعنى نداء الحسرة تنبيه لأن يتمكن علم المخاطب بالحسرة ، كما يقال : يا عجباً أتفعل كذا . والمعنى : يا عجب أقبل ، فإنه من أمامك ، ونداء العجب أبلغ في الفائدة كذلك نداء الحسرة ، وهو معنى قول أبي إسحاق[٦] .

قال ابن عباس : «يا حسرة على العباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الرسل»[٧][٨] . ثم بيَّن سبب الحسرة ، فقال : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾ ؛ أي في الدنيا ،

---

(١) عند قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم :٣٩] . قال المؤلِّف رحمه الله : «والحسرة هي الندامة ، يتحسر المسيء هلَّا أحسن العمل ، ولم يذكر اشتقاق الحسرة فعلَّه وَهَمَ ـ رحمه الله ـ حينما أحال على ذلك الموضع» .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٧٥ .

(٣) هكذا في النسخ ، والصواب : (أيا شاعراً لا شاعر اليوم مثله) .

(٤) في (ب) : زيادة في أول الشطر الثاني (ومعنى) ، وهو خطأ .

(٥) البيت من الطويل ، وهو للصلتان العبدي في الكامل ٣/ ١١١١ ، والمقتضب ٤/ ٢١٥ ، والشعر والشعراء ٣١٤ ، والكتاب ٢/ ٢٣٧ ، ومعاهد التنصيص ١/ ٧٥ . والشاهد فيه قوله : «أيا شاعراً» ؛ حيث نصب المنادى من قبيل الشبيه بالمضاف ؛ لأنه موصوف بجملة .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٤ . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩١ ، والفريد في إعراب القرآن ٤/ ١٠٦ ، والكشاف ٣/ ٢٨٥ .

(٧) هكذا في النسخ جميعها ، وهو تصحيف ، ولعل الصواب : (الدنيا) .

(٨) لم أقف على مَن نسب القول إلى ابن عباس ، وقد أورده المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٥١٣ ، ونسبه إلى مجاهد ومقاتل ، وهو في تفسير مقاتل ١٠٦ ب ، وتفسير مجاهد ٥٣٤ .

﴿ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . ثم خوَّف كفار مكة مثل عذاب الأمم الخالية في الدنيا ليعتبروا ، [فقال][1] :

٣١. ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ . قال أبو إسحاق : «موضع كم نصب بأهلكنا ؛ لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها ، خبراً كانت أو استخباراً . وقوله : ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ : (أنهم) بدل من معنى ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ . والمعنى : ألم يروا أن القرون التي أهلكنا أنهم لا يرجعون»[2] .

والتفسير : لم يعتبروا بمَن أهلكنا مَن قبلهم من القرون فيخافوا أن يعجَّل لهم في الدنيا مثل الذي عجِّل لغيرهم ممن أهلك ، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيا أبداً .

٣٢. وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ : قُرِئ : (لما) بالتخفيف والتشديد ؛ فمَن خفَّف فما زائدة[3] مؤكدة . والمعنى : وإن كل لجميع

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) ، وهذه الكلمة لا تلزم السياق .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٥ .

(٣) ما نقله المؤلِّف ـ رحمه الله ـ هنا عن الزَّجَّاج من القول بأن (ما) زائدة ، قال به أيضاً الزمخشري في الكشاف ٢/ ٢٩٥ ، وذكره أيضاً السمين في الدر ٦/ ٤٠١ ، ولكن هذا القول لا ينبغي أن يقال ؛ لأنه ينافي الأدب مع القرآن ، فالقول بأن هذا الحرف زائد يوحي بأنه لا فائدة له ، وهذا ليس صحيحاً في حق كلام الله جل وعلا . يقول ابن هشام في كتابه الإعراب عن قواعد الإعراب ١٠٨ ، ١٠٩ : «وينبغي أن يتجنب المعرب أن يقول في حرف من كتاب الله : إنه زائد ؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذي لا معنى له ، وكلام الله سبحانه منزه عن ذلك . والزائد عند النحويين معناه الذي لم يؤتَ به إلَّا لمجرد التقوية والتوكيد لا المهمل ، وكثير من المتقدمين يسمون الزائد صلة ، وبعضهم يسميه لغواً ، لكن اجتناب هذه العبارة في التنزيل واجب» . اهـ . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٦/ ٥٣٧ بعد أن تكلم عن التكرار والزيادة في كلام العرب : «فليس في القرآن من هذا شيء ولا يذكر فيه لفظ زائد إلَّا لمعنى زائد ، وإن كان في ضمن ذلك التوكيد ، وما يجيء به من زيادة اللفظ في مثل قوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران :١٥٩] ، وقوله : ﴿ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَـٰدِمِينَ ﴾ [المؤمنون :٤٠] ، وقوله : =

لدينا محضرون ، ومَن شدَّد جعل (لـمَّـــا) بمعنى إلَّا ، تقول : سألتك لـمَّـا فعلته ، وإلَّا فعلت ، هذا قول الزَّجَّاج[١] .

وقال الفـــرَّاء : «الوجه التخفيف ؛ لأنها ما أدخلـــت عليها لام يكون جواباً لأن ، كأنـــك قلت : وإن كل لجميـــع . وأمَّا مَن ثقَّل فإنه يجعل لـمَّـــا بمنزلة إلَّا مع أن خاصة ، كأنهـــا ضمت إليها ما[٢] ، فصار جميعاً اســـتثناء وخرجتا من حد الجحد إذا جمعتا فصارتا حرفاً واحـــداً»[٣] . هذا كلامه . ومعنى قوله : بمنزلة إلَّا مـــع أن خاصة ، يعني أن إلَّا كلمتان أولاهما التي هـــي جحد بمنزلة ما ولا أيضاً جحد ، جمع بينهما فصارتا اســـتثناء ، وكذلك لما جحد إن اجتمعتا لم وما فتشابهتا في هذا المعنى ، وهـــذا كلام صاحب النظم في شرح ما ذكره الفرَّاء ، قال : «وكان الكســـائي ينفي هذا القول ، ويقول : لا أعرف جهة لما بالتشديد في القراءة»[٤] ، وقد ذكرنا استقصاء هذه المسألة في سورة هود عند قوله : ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ [هـــود :١١١] . وتفسير مقاتل موافق لمذهب مَن شدَّد لـمَّـــا ؛ لأنه يقول : «وما إلَّا جميع لدينا محضرون»[٥] . ومَن خفَّف لـمَّـــا كان أن في قوله : ﴿وَإِن كُلٌّ﴾ بمنزلة المشـــدَّدة ، ولكنها إذا خفِّفت لم تنصب ، وهذه الجملة قد أشـــبعنا الكلام فيها في سورة هود .

= ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافـــر :٥٨] . فالمعنى مـــع هذا أزيد من المعنى بدونه ، فزيـــادة اللفظ لزيادة المعنى ، وقوة اللفظ لقوة المعنى» . اهـ . انظر : التأويل النحوي في القرآن الكريم ٢/ ١٢٧٧ وما بعدها ، والكاشف عن إعجاز القرآن ٣٠٢ ، والبرهان للزركشي ٢/ ١٧٧ .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٦ .

(٢) (ما) ساقطة من (ب) .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٣٧٧ .

(٤) انظر : الدر المصون ٤/ ١٤٠ ، والبحر المحيط ٧/ ٣١٩ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٤ .

(٥) لم أقف على هذا التفسير عن مقاتل .

قال أبو إسحاق : «تفسير الآية : أنهم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا»[١] .

٣٣. ثم وعظ كفار مكة أن يتفكروا في صنعه ليعرفوا توحيده ، فقال :[٢] ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ ﴾ . واختلفوا في الكناية في قوله : ﴿ ثَمَرِهِۦ ﴾ ؛ فقال أبو عبيدة : «العرب تذكر الاثنين ثم تقتصر على الخبر عن أحدهما ، كقوله : ﴿ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ .

وقال الأزرق بن طرفة بن العَمرَّد[٣] :

رماني بأمرٍ كنْتُ منْهُ ووالدي ... بري ومنْ أجلِ الطَّوِيِّ رماني

فاقتصر على خبر واحد ، وقد أدخل الآخر معه»[٤] ، فعلى قول الكناية تعود إلى مضمر مراد في اللفظ ، وهو الماء ؛ لأن قوله :

٣٤. ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ تقديره : وفجرنا فيها ماء من العيون .

٣٥. ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ ﴾ ؛ لأن الثمار لا تكون إلَّا من الماء وبالماء .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٦ .

(٢) في (ب) : زيادة (وقوله تعالى) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

(٣) لم أقف له على ترجمة .
البيت من الطويل ، مختلف في نسبته ؛ فالأكثر ينسبه إلى عمر بن أحمر ، وهو في ديوانه ١٨٧ ، وفي الدرر ٢/ ٦٢ ، والكتاب ١/ ٧٥ ، ونسبه أبو عبيدة إلى طرفة بن العمرَّد كما في مجاز القرآن ٢/ ١٦١ ، وله أو لابن أحمر كما في اللسان (حول) ١١/ ١٣٢ ، وهو غير منسوب في المصون من الأدب ٨٤ . والشاهد فيه : حذف خبر كان ، والتقدير : كنت منه بريئاً ، وعليه (فبريئاً) الموجود خبر لكان المحذوفة مع اسمها . ومعنى رماني : قذفني بأمر أكرهه ، والطوي : هي البئر المطوية بالحجارة . انظر : الكتاب ١/ ٧٥ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٦١ .

وقولــه تعالى : ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ : يجوز أن تكــون[١] ما موصولة بمعنى الذي ، وتكون في موضع خفض[٢] عطفاً على التمر : ليأكلوا من ثمره ومما عملت أيديهــم ، وهذا معنى قول ابن عباس ؛ لأنه قــال : «يريد من الغروس ، يعني أن الغروس من عمل أيدينا»[٣] .

قال صاحب النظم : «المعنى : ويأكلوا مما عملت أيديهم بالمقاساة بالحراثة كما قــال عز وجل : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعــة :٦٣] ، فأضاف الحراثة إليهم . وعلى هــذا العائد من الصلة إلى الموصول محذوف على قــول[٤] مَن قرأ : (عملت) بغير هاء ، وأكثر ما جاء في التنزيل من هذا على حذف كقوله : ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ ، و﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ ، و﴿أَيْنَ شُرَكَآءُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ، و﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ . وكل هذا على إرادة الهاء وحذفها ، وقد جاء الإثبــات في قوله : ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ ، ويكون هــذا كقول[٥] مَن قرأ : (عملته) بالهاء ، في أنه ردَّ الكناية من الصلة إلى الموصول . ويجوز أن يكون في قوله : ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ نفي ، على معنى : ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم ، ولكن من فعلنا» .

وقال الضحاك : «أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها»[٦] .

قال الفــرَّاء : «إذا جعلت (ما) جحداً لم تجعل لهــا موضعاً ، ويكون المعنى : إنَّــا جعلنا لهم الجنات والنخيل والأعنــاب ، ولم تعملها أيديهم»[٧] . ويقوِّي هذا

---

(١) في (أ) : (يكون) .
(٢) في (أ) : (خفين) ، وهو تصحيف .
(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٩٢ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٥ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٠ .
(٤) في (أ) : (قوله) ، وهو خطأ .
(٥) في (أ) : (كقوله) ، وهو خطأ .
(٦) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ١٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٦١ .
(٧) انظر : معاني القرآن ٢/ ٣٧٧ .

الوجه قوله : ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ . ومَن قدَّر هذا التقدير لم يكن ﴿عَمِلَتْهُ﴾ صلة ، وإذا لم يكن صلة لم يقتضِ الهاء الراجعة إلى الموصول ، ويجوز أيضاً أن تكون (ما) نافية على قراءة مَن أثبت الهاء في عملته ، وتكون الهاء كناية عن لفظ الثمر والتمر لم تعمله أيدي الناس ، إنما ظهر بقدرة الله وإيجاده ، وهذا الذي ذكرنا معنى قول الفرَّاء[١] ، والزَّجَّاج[٢] ، وأبي علي[٣] رحمهم الله .

وقوله : ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ . قال ابن عباس : «أفلا يطيعون»[٤] .

قال مقاتل : «أفلا يشكرون رب هذه النعم ويوحِّدونه»[٥] .

٣٦. ثم نزَّه نفسه وعجب خلقه ، فقال : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ . قال ابن عباس : «والحبوب» .

﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ . قال قتادة ومقاتل : «يعني الذكر والأنثى ، والأزواج من النبات أجناسه ، ومن الأنفس الذكر والأنثى»[٦] .

وقوله : ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ . قال الكلبي : «من سائر الخلق»[٧] .

وقال مقاتل : «[ومما لا يعلمون من الخلق]»[٨][٩] .

---

(١) انظر : المرجع السابق .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٦ .
(٣) الحجة ٦/ ٤٠ .
(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس .
(٥) تفسير مقاتل :ص١٠٧ أ .
(٦) ورد في تفسير مقاتل ١٠٧ أ ، ولم أقف عليه عن قتادة .
(٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، وذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٧ من دون نسبة .
(٨) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) منسوباً إلى الزَّجَّاج ، وهو خطأ .
(٩) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

وقال الزَّجَّاج : «ومما لا يعلمون مما خلق الله من جميع الأنواع والأشباه»[١] . والمعنى : أن الله خالق الأنواع مما يعلمون ، وهو ما ذكر من النبات والأنفس ، ومما لا يعلمون مما لا يقف عليها من دواب البر والبحر وغيرها من الأشياء التي لا نعلمها[٢] .

٣٧. وقوله : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ﴾ ؛ أي علامة تدل على قدرتنا . ﴿ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ . قال الكلبي ومقاتل : «[ ][٣] ويذهب به»[٤] . قال أبو عبيدة : «نخرج ونميز منه فيجيء الظلمة ، يقال للرجل : سلخه الله من دينه»[٥] . وقال الفرَّاء : «معناه نسلخ عنه النهار فرمي بالنهار عنه فيأتي بالظلمة»[٦] ، وقال الزَّجَّاج : «نخرج منه النهار إخراجاً لا يبقى معه شيء في ضوء النهار»[٧] . هذا كلامه .

ومعنى السلخ في اللغة : كشطك الإهاب ، ثم تستعمل فيه أشياء كثيرة تكون بمعنى الإخراج ، والانسلاخ : الخروج ، كقوله : ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف :١٧٥] ، وانسلخت الشمس ؛ أي استكملت أيامه[٨] ، وقد مرَّ الكلام في هذا[٩] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٧ .

(٢) في (أ) : (يعلمها) ، وهو تصحيف .

(٣) قدر كلمة في النسخ جميعها غير واضحة ، والظاهر ـ والله أعلم ـ أنها : (ينزعه) .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٥ ب .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٦١ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٧٨ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٧ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة ٧/ ١٧٠ ، واللسان (سلخ) ٣/ ٥٤ (سلخ) ، وعمدة الحفاظ ٢/ ٢٤١ .

(٩) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة :٥] .

وتحقيق معنى نسلخ[١] من النهار : أن الظلمة هي الأصل والنهار داخل عليها يسترها بضوئه ، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل ؛ أي كشط وأزيل كما يكشط[٢] الشيء الطارئ على الشيء ، فجعل ذهاب الضوء ظهور الظلمة كالسلخ من الشيء فيظهر المسلوخ بعد سلخ إهابه عنه[٣] .

قال أبو علي : «وآية ترتفع بالابتداء ، ولهم صفة للنكرة ، والخبر مضمر تقديره : وآية لهم في المشاهدة أو في الوجود[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ ، وقوله : ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ الآية ، كما أن قوله : ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء :١١] تفسير للوصية» .

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ ؛ أي داخلون في الظلمة . يقال : أظلمنا ؛ أي دخلنا في ظلام الليل ، وجاء فلان مظلماً ؛ أي بليل .

٣٨. قوله تعالى : ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ . قال أبو إسحاق : «المعنى : وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها»[٥] .

قال المُبرِّد وابن قتيبة : «أي إلى مستقر لها ، كما تقول : هو[٦] يجري لغايته ، وإلى غايته»[٧] .

---

(١) في (ب) : (لنسلخ) ، وهو خطأ .
(٢) في (أ) : (يكشف) ، وهو تصحيف .
(٣) في (ب) : (منه) .
(٤) الحجة ٦/ ٤٠ .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٧ .
(٦) في (أ) : (هم) ، وهو تصحيف .
(٧) ذكره تفسير غريب القرآن ٣٦٥ ، وتأويل المشكل ٣١٦ ، ولم أقف على قول المُبرِّد .

واختلفوا في مستقر الشمس ، فروى أبو ذر أن النبي ﷺ قال في هذه الآية : «مستقرها تحت العرش»[١] ، وهو قول ابن عباس ، قال : «يريد تحت عرش الرحمن»[٢] .

وعلى هذا هي إذا غربت كل نهار استقرت تحت عرش الرحمن إلى أن تطلع ، يدل عليه ما روى أبو ذر أنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد عند غروب الشمس ، فقال : «أتدري أين تغرب ؟» فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : «يذهب بها حتى ينتهي تحت العرش ثم تستأذن فيؤذن بها ، ويوشك أن تستأذن فلا يؤذن لها»[٣] .

وقال قتادة : «إلى وقت وأجل لها لا تعدوه»[٤] ، ونحو هذا قال مقاتل[٥] ، وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا ، وهو اختيار أبي إسحاق ، فقال : «لمستقرها ؛ أي لأجل قد أُجِّل لها»[٦] .

وقال الكلبي : «تسير في منازلها حتى تنتهي إلى آخر مستقرها الذي لا تجاوزه ، ثم ترجع إلى منازلها حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها ثم ترجع ، فذلك مستقرها ؛ لأنها

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ، وقوله جل ذكره : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ ٦/ ٢٧٠٣ ، رقم ٦٩٩٦ ، والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١/ ١٣٩ ، رقم ٢٥١ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٥٢ـ١٧٧ ، والترمذي في سننه ، كتاب : التفسير (سورة يس) ٥/ ٤٢ ، رقم ٣٢٨٠ ، وقال : «هذا حديث حسن صحيح» .

(٤) انظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٥ ب ، وتفسير الطبري ٢٣/ ٦ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١١ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٧ .

لا تجاوزه»[١] ، وعلى هذا (لمستقرها) ؛ أي لمستقرٍّ لسيرها لا يزيد إذا انتهى إليه انصرف ورجع .

وقوله : ﴿ذَٰلِكَ﴾ . قال مقاتل : «ذلك الذي ذكره من أمر الليل والنهار والشمس . ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بما قدَّر من أمرها» .

٣٩. قوله تعالى : ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ : قُرِئ : (والقمر) بالرفع والنصب ؛ فالرفع بتقدير : وآية لهم القمر ، كما ذكرنا في قوله : ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ﴾ و﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ . ويجوز أن يكون ابتداء وقدَّرناه الخبر ، والنصب على : وقدَّرنا القمر قدَّرناه ، وقد حمله سيبويه على : زيداً أضربته ، قال : «وهو عربي» ، هذا كلام أبي إسحاق وأبي علي[٢] .

وقال الفرَّاء : «في القمر[٣] أعجب إليَّ ؛ لأنه قال : ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ﴾ ، ثم جعل الشمس والقمر متبعين الليل ، وهما آيتان مثله»[٤] .

وقال أبو عبيدة : «النصب أحب إليَّ ؛ للفعل المتقدم قبله والمتأخر بعده ، فالمتقدم قوله : ﴿نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ ، والمتأخر قوله : ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ ، والتقدير في الآية : قدَّرناه ذا منازل ، كما ذكرنا في قوله : ﴿قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[٥] ، ثم حذف المضاف»[٦] . ومنازل القمر معروفة ، وهي ثمانٍ وعشرون منزلة ، من أول الشهر إلى ثمانٍ وعشرين ليلة

---

(١) ذكر في تفسير الماوردي ٥/ ١٧ ، وزاد المسير ٧/ ١٩ ، وأورد هذا القول ولم ينسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٤ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٦٣ .

(٢) معاني القرآن إعرابه ٤/ ٢٨٧ ، والحجة ٦/ ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، وهو خطأ ، والصواب كما في معاني القرآن للفرَّاء : (الرفع في القمر . . . .) .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٧٨ .

(٥) في (أ) : (وقدرناه) ، بزيادة الواو ، وهو خطأ .

(٦) لم أقف على قول أبي عبيد ، وانظر في توجيه هذه القراءة : القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٥٦٤ ، والحجة في القراءات السبع ٢٩٨ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢١٦ .

منــه تم ، فإذا صار في آخــر منازله دق ، وذلك[١] قولــه :[٢] : ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ . قال أبو إســحاق : «العرجون عود العذق الذي تركبه الشــماريخ من العذق ، وهو فعلول من الانعراج ، وإذا جف وقدم دق وصغر ، يشبه[٣] به الهلال في آخر الشهر ، وفي أول مطلعه»[٤] . واستقوس[٥] فشبه القمر ليلة ثمانٍ وعشرين ، والآية مختصرة ؛ لأن التقدير : فســار في منازله حتى عاد كالعرجون ، ودلَّ قوله : ﴿قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[٦] على هذا المحذوف ، وهو الســير ؛ لأن كونه ذا منازل يقتضي سيره فيها ، وقال الكلبي : «كالعرجون اليابس قد حال عليه الحول فتوش»[٧][٨] ، ونحو هذا قال مقاتل[٩] .

والعرجون على ما ذكر أبو إسحاق من الثلاثي ؛ لأنه[١٠] جعل النون زائدة ، وذكــره الليث في باب الرباعــي ، فقال : «العرجون أصــل العذق ، وهو أصفر عريض يشبه به الهلال إذا انمحق ، قال : والعرجنة تصوير عراجين النخل»[١١] .

---

(١) في (ب) : (فذلك) .

(٢) في (أ) : زيادة بعد قوله (وقوله) ، وهو خطأ .

(٣) في (أ) : (يشبهه) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٨ .

(٥) هكذا جاء الكلام في النســخ جميعها ، والظاهر عدم وجود ترابط بين كلام أبي إسحاق وكلام المؤلِّف بسبب سقط كلمة أو نحوها .

(٦) في (ب) : (وقدرناه) ، بزيادة الواو ، وهو خطأ .

(٧) هكذا في النسخ ، ولعل الصواب : (فتقوس) .

(٨) لم أقف عليه .

(٩) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(١٠) في (ب) : (لا أنه) ، وهو خطأ .

(١١) انظر : تهذيب اللغة (عرجن) ٣/ ٣٢٠ .

وقال رؤبة :

في خِدْرِ مَيَّاسِ الدُّمَى مُعَرْجَنِ[١]

أي : مصوَّر فيه صورة النخل[٢] والدمى .

٤٠. قوله تعالى : ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ . قال الكلبي : «لا تجري الشمس في سلطان القمر فيذهب بصره . ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ فيجيء قبل وقته»[٣] .

وقال مقاتل : «يقول : فلا يدرك سواد الليل ضوء النهار فيغلبه على ضوئه»[٤] . وحقيقة المعنى ما ذكره أبو إسحاق ، فقال : «أي لا يذهب أحدهما بمعنى الآخر»[٥] .

وشرح ابن قتيبة معنى ما ذكره المفسرون ، فقال : «في هذه الآية يقول الله تعالى إنهما يسيران الدهر دائبين لا يجتمعان ، فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار ، ولو أدركت الشمس القمر لذهب ضوؤه ، وبطل سلطانه ، ودخل النهار على الليل ، وقد قال الله تعالى حين ذكر يوم القيامة : ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ ، وذلك عند إبطال هذا التدبير ، ونقض هذا التأليف ، وكما لا يدخل النهار على الليل قبل

---

(١) عجز بيت من الرجز ، وصدره :

أوْ ذكر ذاتِ الرَّبدِ ألمعهن

وهو لرؤبة في ديوانه ١٦١ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٣٢٠ ، واللسان (عوجن) ١٣/ ٢٨٤ .

(٢) في (ب) : (القتل) ، وهو خطأ .

(٣) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ١٣ ، وزاد المسير ٧/ ٢٠ .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٨ .

انقضائه ، وهو قوله : ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ ؛ أي هما يتعاقبان ، فلا يذهب الليل قبل مجيء النهار»[١] ، وهذا معنى آخر سوى الأول .

وقوله : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ ؛ أي يجرون ، يعني الشمس والقمر والنجوم . وقال أبو إسحاق : «أي يسيرون فيه بانبساط ، وكل مَن انبسط في شيء فقد سبح فيه ، ومن ذلك : السباحة في الماء»[٢] . وسبق في سورة الأنبياء تفسير قوله : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾[٣] .

٤١ . وقوله : ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ﴾ . قال مقاتل : «وعلامة لكفار مكة . ﴿أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ : يعني ذرية أهل مكة في أصلاب آبائهم ، وعلى هذا المراد بالذرية : الأولاد ، وأولادهم كانوا في أصلاب مَن حمل مع نوح في سفينة»[٤] . وقال آخرون : «المراد بالذرية هاهنا الآباء والأجداد . والمعنى : حملنا آباءهم الذين هؤلاء من نسلهم في الفلك المشحون» . قال ثعلب : «الذرية تقع على الآباء ، واحتج بهذه الآية»[٥] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٨ .

(٣) آية : ٣٣ . انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ٣/ ٢٤٢ أ ، قال : «والفلك في كلام العرب : كل شيء مستدير ، وجمعه أفلاك» . هذا معنى الفلك في قول أهل اللغة ، وأمَّا المفسرون فقال السُّدِّي في قوله : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٖ﴾ : «أي كل في مجرى واستدراجه» ، وقال الكلبي : «الفلك استدارة السماء ، وكل شيء استدار فهو فلك» ، وعلى هذا المراد بالفلك السماء ، والسماء مستديرة والنجوم تدور فيها ، وهذا معنى قول مجاهد .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٥) لم أقف عليه عن ثعلب ، والقول في تهذيب اللغة (ذرأ) ١٥/ ٤ عن الليث .

وقال[١] الفرَّاء : «جعل ذرية التي كانت مع نوح لأهل مكة ؛ لأنها أصل لهم»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : «قيل لأهل مكة حملنا ذريتهم ؛ لأن مَن حمل مع نوح فهم آباؤهم وذرياتهم»[٣] ، فهذه الأقوال تدل على أن الآباء يجوز أن تسمى ذرية الأبناء .

وقد كشف صاحب النظم على هذا ، فقال : «جعل الله تعالى الآباء ذرية للأبناء ، وجاز ذلك ؛ لأن الذرية مأخوذة من : ذرأ[٤] الله الخلق ، فسمى الولد ذرية ؛ لأنه ذرى من الأب ، فكما جاز أن يقال للولد : ذرية لأبيه ؛ لأنه ذري منه ، وكذلك يجوز أن يقال للأب : ذرية للابن ؛ لأن ابنه ذري منه ، فالفعل يتصل به من أحد الوجهين ، وهذا كما تقول في المصدر ؛ فإنه سمي[٥] به الفاعل مرة والمفعول أخرى ، نحو : درهم ضرب الأمير ، ونسج اليمن ، وكقول : ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [الملك :٣٠] ؛ أي غائراً وهو كثير ، وكذلك يضاف المصدر[٦] إلى الفاعل مرة ومرة إلى المفعول ؛ لاشتماله عليهما ، واشتراكهما في التسمية به» . والمشحون : المملوء .

---

(١) (الواو) ساقطة من (ب) .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣٧٩ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٨ .

(٤) في (ب) : (ذر الله) .

(٥) في (ب) : (سعى) ، وهو تصحيف .

(٦) جاءت العبارة في (أ) هكذا : (وكذلك يضاف المصدر إلى المصدر مرة إلى الفاعل ومرة إلى المفعول) ، وهو خطأ .

قال أبو عبيدة : «يقال : شحنت المدينة وأشحنتها إذا ملأتها»[١] . قال مقاتل : «يعني الموقر من الناس والدواب»[٢] .

٤٢. وقوله : ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد السفن مثل مركب نوح» ، وهذا قول مقاتل والحسن وأبي صالح والسُّدِّي عن أبي مالك ، كل هؤلاء قالوا : «يعني السفن الصغار ؛ فإنها عُملت بعد سفينة نوح على صنعتها»[٣] .

وقال آخرون : «يعني الإبل» ، وهو قول عكرمة وعبدالله بن شداد[٤] .

وذكر الكلبي القولين جميعاً ، وقال : «في البحر السفن ، وفي البر الإبل»[٥] . والظاهر القول الأول ؛ لأنه قال : ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ، والسفن هي التي تشبه ما عمله نوح ، وهي أيضاً من الخشب الذي هو من خشب سفينة نوح . ومَن ذهب إلى الإبل احتاج أن يجعل (مِنْ) زائدة ، ويجعل الإبل من[٦] السفينة في أنها تحمل الإنسان في البر كما تحمله السفينة في البحر ، فهو مثلها في العمل والحمل لا في الصورة والخلقة ، ويدل على صحة القول الأول :

٤٣. قوله تعالى : ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ . والإغراق يكون بالماء في البحر ، والمراد بهذا أن الله تعالى ذكر مِنَّته على أنه خلق لهم الخشب حتى عملوا مثل سفينة نوح وركبوه للتجارات ، ثم ذكر أنه بفضله يحفظهم ولو

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٦٣ .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ١٠٧ أ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٠ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٩ ، وبحر العلوم ٣/ ١٠١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ١١ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٠ ، وزاد المسير ٧/ ٢٢ .

(٥) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : تفسير القرطبي ١٥/ ٣٥ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٥ .

(٦) هكذا جاءت في النسخ ، والذي يظهر أنها : (مثل) ، وليست : (من) .

شاء أغرقهم ، فلم[١] يغثهم أحد ، ولم ينقذهم ، وهو قوله : ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ الآية . قال ابن عباس : «لا مغيث لهم» ، وهو قول الجميع[٢] . والصريخ هاهنا بمعنى المصرخ . ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ ؛ أي من الغرق . يقال : أنقذه واستنقذه إذا خلصه ، وتقدير قوله : ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ : فليس لهم صريخ ، كما تقول : إن شاء ضربك فلا ناصر لك . ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ . قال ابن عباس :« ولا أحد ينقذهم من عذابي»[٣] .

٤٤. وقوله : ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ ؛ أي إلَّا أن يرحمهم[٤] ويمنعهم إلى آجالهم . قال ابن عباس : «وذلك أن الكافر متَّعه الله في الدنيا ورزقه فيها وجعلها جنته ، فإذا ركب السفينة سلَّمه الله ورزقه حتى يموت»[٥] . وكل نبي إذا كذَّبه قومه عجَّل لهم العذاب إلَّا محمداً ﷺ ؛ فإنه أخَّر العذاب عمن كذَّبه إلى الموت وإلى القيامة ، وهو معنى قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء :١٠٨] .

قال أبو إسحاق : «رحمة منصوب مفعول لها . المعنى : لا ينقذون إلَّا لرحمة منَّا ولمتاع إلى حين»[٦] ، وهذا ليس بالظاهر القوي .

---

(١) في (ب) : (ولم) .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ١١ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٩٩ .

(٣) انظر : الوسيط ٣/ ٥١٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٤ .

(٤) في (ب) : (نرحمهم) .

(٥) أورده المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٥١٥ ، ولم أقف عليه عند غيره .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٩ .

قال أبــو عبيــدة : «﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً﴾ مجازها مجاز المصدر الذي فعله بغير لفظه» ، وأنشد قول رؤبة :

إن نــزاراً أصبحــتْ نــزاراً دعوةَ أبــرارٍ دعــوا أبــراراً[١][٢]

يعني : دعوا دعوة أبرار ، كذلك المعنى في الآية : إلَّا أن يرحمهم رحمة ، والمتاع هاهنا اسم أقيم مقام المصدر كالأداء والسراج .

٤٥. وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ : اختلفوا في هذا ؛ فقال مقاتل وقتادة : «مــا بين أيديكم عذاب الأمم الخالية ، وما خلفكم عذاب الآخــرة»[٣] . وعكس الكلبي ، فقال : «ما بين أيديكم من أمر الآخرة فاعملوا لها ، وما خلفكم من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بما فيها من زهرتها»[٤] .

وقــال مجاهد : «ما بين أيديكــم ما يأتي من الذنوب ، ومــا خلفكم ما مضى منها»[٥] . وذكر أبو إســحاق عــلى القلب من هذا ، فقال : «مــا بين أيديكم وما أسلفتم من ذنوبكم ، وما خلفكم وما تعملونه في ما تستقبلون»[٦] .

---

(١) البيت من الرجز ، وهــو لرؤبة في الكتاب ١/ ٣٨٢ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٦٢ ، ومن دون نســبة في شرح المفصل ١/ ١٧٧ ، والمخصص ١٥/ ١٣٧ . ومعنى البيت : أن ربيعة ومضر ابني نزار كانت بينهما حرب وتقاطع ، فلـمَّـا اصطلحوا انتموا كلهم إلى أبيهم نزار وجعلوه شعارهم ، فجعل دعوتهم برَّة بذلك .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٦٢ .

(٣) تفسير مقاتل ١٠٧ ب ، وانظر : تفسير الطبري ٢٣/ ١٢ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢١ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٤ .

(٤) انظر : بحر العلوم ٣/ ١٠١ .

(٥) تفسير مجاهد ٥٣٥ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٩ .

وقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ . قال ابن عباس ومقاتل : «لكي ترحموا»[١] .

وقال أهل المعاني : «لتكونوا على رجاء رحمته» ، وهو قول أبي إسحاق[٢] ، وذكرنا هذا في ما تقدَّم أولاً[٣] . وجواب إذا محذوف على التقدير : إذا قيل لهم هذا أعرضوا ، يدل على هذا المحذوف قوله : ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ ؛ أي عبرة ودلالة تدل على صدق محمد ﷺ كاشتقاق[٤] القمر وغيره من الآيات .

٤٦. وقوله : ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ . قال الفرَّاء : «هذا جواب لقوله : ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ ، وفيه جواب لقوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ ؛ لأن المعنى : إذا قيل لهم اتقوا أعرضوا ، وإذا أتتهم آية أعرضوا»[٥] ، ونحو هذا قال الكسائي : «إن هذا جواب لقوله : ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ ، وفيه معنى جواب ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾»[٦][٧] .

٤٧. وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ . قال الكلبي : «كان [من][٨] أصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون إليه بمكة وهم يومئذٍ فقراء ، فيخرجون فيسألون ، فيقول أهل مكة : لا والله لا نتصدق

---

(١) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٨١ ، وتفسير مقاتل ١٠٧ ب ، وانظر : مجمع البيان ٨/ ٦٦٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٠٦ .

(٣) ذكر المؤلِّف ـ رحمه الله ـ ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام :١٥٥] .

(٤) هكذا جاء في النسخ ، وهو تصحيف ، والصواب : (كانشقاق القمر) .

(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٧٩ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) في (ب) : زيادة قوله (ولا لزوم لها) .

(٨) هكذا في النسخ ، والذي يظهر أن ما بين المعقوفين زائد .

عليكـــم بشيء وأنتم على غير ديننا حتى ترجعـــوا إليه ، فأنزل الله هذه الآية»[١] .

وقال مقاتل : «إن المؤمنين قالوا لكفار قريش : أنفقوا على المساكين ما زعمتم من أموالكم أنه لله ؛ وذلك أنهم كانوا يقولون هذا على حد الاستهزاء»[٢] ، وذكر غيره أنهم ذهبوا في قولهم أن الله تعالى لـمَّـــا كان قادراً على إطعامهم وليس يشاء إطعامهـــم فنحن أحق بذلك ، على أي وجه قالوه فقـــد أخطأوا ؛ لأنهم إن قالوه استهزاء فلا إيمان لهم بمشيئة الله . ويقوِّي هذا الوجه ما روى معمر عن الكلبي : «أنها نزلت في الزنادقة»[٣] . وإن قالوه على أنهم يوافقون مشيئة الله ، فلا يطعمون مَن لم يطعمها الله ، فقد أخطأوا ؛ لأن الله تعالى لو شاء لأغنى الخلق كلهم ، ولكنه قسم المعيشة بينهم ، فأغنى بعضاً وأفقر بعضاً ؛ ليبلو الغني بالفقير في ما فرض له من ماله من الزكاة ، وندبه إليه من التطوع بالمساواة ؛ ليصح التكليف والابتلاء ، وأن يعترض[٤] على المشيئة .

---

(١) لم أقف على هذا القول منسوباً إلى الكلبي ، وذكر نحوه الماوردي ٥/ ٢١ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٦ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ١٤ ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٤ قولاً نسبه إلى الكلبي ، هو أن الآية نزلت في العاص بن وائل ، كان إذا سأله مسكين قال : اذهب إلى ربك فهو أَوْلى بك مني ، ويقول : قد منعه الله أطعمه أنا ؟ .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٧ أ .

(٣) ذكر في تفســير عبدالــرزاق ٢/ ١٤٤ ، وقــد أورده الماوردي في تفســيره ٥/ ٢١ عن قتــادة ، وكذا ابن الجوزي في زاد المســير ٧/ ٢٤ ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٦٧ ، وأورده القرطبي في تفسيره ١٥/ ٣٧ ، ونسبه إلى ابن عباس .

(٤) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، ولعل الصواب : (وأن لا يعترض) .

قولـه تعـالى : ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ . قـال ابن عبـاس : «يريدون المؤمنين»[١] ، وقال مقاتل بن سـليمان ، ومقاتل بـن حيان : «ثم قالوا لأصحاب النبـي ﷺ : ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قالوا في اتباعكم محمداً وترك ديننا»[٢] ، وقال الكلبي : «يقـول الله : ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ؛ أي خطأ بيِّن»[٣][٤] .

٤٨. وقوله تعـالى : ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ . قال مقاتل : «يعنـي العـذاب . ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن العذاب نـازل»[٥] ، وقال الكلبي : «متى هذا الوعد الـذي تعدنا به من القيامة إن كنتم صادقين في ذلك»[٦] .

قال أبو إسـحاق : «أي : متى إنجاز هذا الوعـد ؟ إن كنتم صادقين فأرونا ذلك»[٧] .

---

(١) لم أقـف عليـه عن ابن عبـاس ، وقد ذكره أكثـر المفسرين ، ولم ينسـبه أحد ـ حسـب علمي ـ إلى ابن عباس ، وإنما نسـبه بعضهـم إلى قتادة . انظر مثلاً : المـاوردي ٥/ ٢٢ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٦٧ . ومنهم مَن ذكره ، ولم ينسـبه إلى أحد . انظر : تفسـير الطبري ٢٣/ ١٢ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٢٧ ، وبحر العلوم ٣/ ١٠٢ .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٧ ب ، وانظر : تفسير القرطبي ١٥/ ٣٧ .

(٣) في (ب) : زيادة (أي خاط خطأ بين) ، وهو خطأ .

(٤) لم أقف على مَن نسبه إلى الكلبي ، وانظر : تفسير الطبري ٢٣/ ١٢ ، وبحر العلوم ٣٠/ ١٠٢ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٧ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٦) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد أورده الماوردي ٥/ ٢٢ عن يحيى بن سلام .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٩ .

٤٩. قال الله تعالى : [ ][1] ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد النفخة الأولى»[2] . والمعنى : أن القيامة تأتيهم بغتة ، تأخذهم الصيحة وهم يخصمون ؛ أي يختصمون . قال ابن عباس : «يريد البيع والشراء»[3] .

قال الكلبي : «يتكلمون ويتبايعون في أسواقهم»[4] .

وقال مقاتل : «وهم أعز ما كانوا يتكلمون في الأسواق والمجالس»[5] .

وقال قتادة : «تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته ، والرجل يصلح حوضه ، والرجل يقيم سلعته ، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه ، فيصيح[6] بهم وهم كذلك»[7] .

وقال أبو إسحاق : «تقوم الساعة وهم متشاغلون في تصرفاتهم»[8] .

وفي قوله : ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ وجوه من القراءة ، أجودها فتح الخاء مع تشديد الصاد ، والأصل : يختصمون ، فألقيت حركة الحرف المدغم –وهو التاء– على الساكن الذي قبله –وهو الخاء– وهذا أحسن الوجوه بدلالة قولهم : ردَّ وفرَّ

---

(١) في (أ) : زيادة (قوله تعالى) ، وهو تكرار لا لزوم له بل إثباته خطأ ؛ لأنه يجعل (قوله تعالى) مقولاً لـ (قال الله تعالى) ، فيكون قرآناً وهو ليس كذلك ، وقد تكررت في بعض المواضع في باقي السورة .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٤/ ١٤ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٦٨ .

(٣) ورد نحوه في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وأورده الماوردي في تفسيره ٥/ ٢٢ عن السُّدِّي .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٦) في (ب) : (فيهيج) .

(٧) ذكر في تفسير الطبري ٢٣/ ١٣ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٦١ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٠ .

وغـضَّ ، [فألقوا حركـة العين على السـاكن ، وذلك أن الأصـل : ردد وافرر واغضض][1] . ويلي الوجه الأول في الجـودة قراءة مَن قرأ بكسر الخاء ، ووجهه أنه حرك الخاء بالكسر لالتقاء السـاكنين ؛ لأنه لم يلقَ حركة التاء على الفاء . وقرأ أهل المدينة بالجمع بين ساكنين والخاء والحرف المدغم . قال الزَّجَّاج : «وهو أشد الوجوه وأردؤها»[2] .

وقال أبو علي : «مَن زعم أن ذلك ليس في طاقة اللسـان إدغاماً يعلم فساده بغير استدلال»[3] .

وقـرأ حمـزة : (يخصمـون) سـاكنة الخـاء مخفَّفة الصـاد ، وهـي قراءة يحيى بن وثاب .

قـال الفرَّاء : «مَن قرأ على قـراءة يحي فيكون تفعلون مـن الخصومة ، كأنه قال : وهم يتكلمون ، قال : ووجه آخر : وهم في أنفسـهم يخصمون من وعدهم الساعة ، وهم يغلبون عند أنفسهم مَن قال لهم أن الساعة آتية»[4] .

وذكر[5] أبو إسحاق هذين الوجهين ، فقال : «في هذه القراءة أنها جيدة أيضاً ، ومعناها أنهـا تأخذهم وبعضهم يخصم بعضاً . قال : ويجـوز أن يكون تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون ، فتقديره : يخصم بعضهم بعضاً ، فحذف المضاف ، وحذف المفعول به كثير في التنزيل وغيره . قال : ويجوز أن يكون المعنى : يخصمون

(١) ما بين المعقوفين مكرر في (أ) .
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٠ .
(٣) الحجة ٦/ ٤٢ .
(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٧٩ .
(٥) في (ب) : (وقال) ، وهو خطأ .

مجادلهم عند أنفسهم ، فحذف المفعول به ، ومعنى يخصمون يعلنون خصومهم في الخصام»[١] . انتهى كلامه .

والوجه الأول في معنى هذه القراءة كمعنى سائر الوجوه من القراءة ؛ لأنه بمعنى يخصم بعضهم بعضاً في تخاصمهم ومكالمتهم في متصرفاتهم[٢] ، يغلب بعضهم بعضاً متشاغلين بكلامهم ، وليس بمعنى الغلبة في الخصومة في الساعة كما ذكر في الوجه الثاني[٣] .

فإن قيل : إن هؤلاء الذين أخبر عنهم ما هم قالوا متى هذا الوعد انقرضوا صاروا رماداً ، فكيف يخبر عنهم بأن الساعة تقوم عليهم وهم يختصمون ؟ قيل : يراد بهذا مَن هو على مثل حالهم من المكذبين بالساعة ، والقوم إذا كان أمرهم واحداً كان الخبر عن بعضهم في ذلك الأمر كالخبر عن جميعهم .

٥٠. ثم ذكر أن الساعة إذا[٤] أخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء ، فقال : ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ . قال مقاتل : «يقول عجلوا عن الوصية فماتوا»[٥] ، وقال أبو إسحاق : «لا يستطيع أحد أن : يوصي وصية في شيء من أمره»[٦] .

﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ : لا يلبث أن يصير إلى أهله ومنزله ، يموت في مكانه .

---

(١) لم أقف على هذا الكلام عن أبي إسحاق ، ويظهر أنه كلام أبي علي ، وإنما وَهَمَ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ فنسبه إلى أبي إسحاق . انظر : الحجة ٦/ ٤٢ .

(٢) في (ب) : (متصرتهم) ، وهو خطأ .

(٣) انظر : الحجة ٦/ ٤١ـ٤٣ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٧٩ ، وعلل القراءات ٢/ ٥٦٦ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢١٧ .

(٤) في (ب) : (أوذا) ، وهو خطأ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ أ ب .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٠ .

وقال مقاتل : «يقول : ولا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق»[١] ، وهذا قول المفسرين[٢] .

وقال الكلبي : «ولا إلى أهلهم يرجعون الكلام»[٣] .

وذكر الفرَّاء هذا القول أيضاً ، فقال : «أي لا يرجعون إلى أهليهم قولاً»[٤] .

٥١. قال مقاتل : «أخبرهم الله بما يقولون في النفخة الأولى ، ثم أخبرهم بما يقولون في النفخة الثانية إذا بُعثوا بعد الموت ، وذلك قوله[٥] : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾» . قال ابن عباس : «يريد النفخة الثانية»[٦] .

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ : يعني القبور ، واحدها جدث . قال أبو عبيدة : «وهي لغة أهل العالية ، وهي أهل نجد يقولون : جدث»[٧] .

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ . قال مقاتل : «يخرجون إلى الله من قبورهم أحياء»[٨] ، وقال الزَّجَّاج : «ينسلون يخرجون بسرعة»[٩] .

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ١٥ ، وبحر العلوم ٣/ ١٠٢ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٢ .

(٣) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : معاني القرآن للنحاس ٥/ ٣٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٩ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٨٠ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وأكثر المفسرين قالوا : «إنها النفخة الثانية» . انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ١٥ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٣ ، بحر العلوم ٣/ ١٠٢ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٣٩ .

(٧) كلام أبي عبيدة كما في المجاز ٢/ ١٦٣ ، وهو لغة أهل العالية ، وأهل نجد يقولون : (جدف) .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٠ .

قال المُبرِّد[١] : «يقال للإنسان إذا غدا عجلاً : نسل ، والريب ينسل وينسل» ، وأنشد الجعدي :

عَسَلاَن الذئبِ أمسى قارباً بردَ الليلُ عليْهِ فَنَسلْ[٢]

ابن السكيت : «يقال : نسل في العدو ينسل نسلاناً»[٣] .

وقد يقال في مصدره : النسل ، ومنه الحديث : شكونا إلى رسول الله ﷺ الضعف ، فقال : «عليكم بالنسل»[٤] .

وقال ابن الأعرابي : «النسل ينشط ، وهو الإسراع في المشي»[٥] .

٥٢. قال مقاتل : «فلمَّا رأوا البعث ذكروا قول الرسل في الدنيا أن البعث حق[٦] ، فقالوا : ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ هَٰذَا﴾» . قال المفسرون : «إنما يقولون هذا ؛ لأن الله رفع عنهم العذاب في ما بين النفختين فيرقدون» .

---

(١) الكامل ١/ ٣٢١ ، ٣٢٢ .

(٢) البيت من الرمل ، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ٩٠ ، وتهذيب اللغة ٢/ ٩٦ ، وينسب إلى لبيد ، وهو في ديوانه ٢٠٠ ، ولسان العرب (عسل) ١١/ ٤٤٦ ، والكامل ١/ ٣٢١ . ومن دون نسبة في جمهرة اللغة ٣٠٥ ، ٨٤٢ ، والمخصص ٧/ ١٢٦ ، والخصائص ٢/ ٤٨ . يقال : «عسل الذئب والثعلب يعسِل عَسلاً وعسلاناً ، مضى مسرعاً واضطرب في عدوه وهزَّ رأسه» . قارباً نقرب ؛ أي نطلب ، والأصل في هذا طلب الماء ثم توسع فيه ، والنسل : الإسراع في المشي .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (نسل) ١٢/ ٤٢٨ .

(٤) أخرجه الخطابي في غريب الحديث ٢/ ٣٧١ ، وابن الأثير في غريب الحديث (نسل) ٥/ ٤٩ ، والزمخشري في الفائق في غريب الحديث (نسل) ٣/ ٤٢١ ، وابن الجوزي في غريب الحديث ، باب النون مع السين ٢/ ٤٠٥ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (نسل) ١٢/ ٤٢٨ ، واللسان (نسل) ١١/ ٦٦١ .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

قال مقاتل : «إن أرواح الكفار كانت تعرض على منازلها من النار طرفي النهار[٧] وكل يوم ، فلمَّا كان بين النفختين رفع فرقد تلك الأرواح ، فلمَّا بُعثوا في النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل[٨] ، فقالوا : ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾» .

قال أُبي بن كعب : «ينامون قبل البعث نومة»[٩] .

قال أبو هريرة : «إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر عليهم ماءً من تحت العرش ، فينبتون منه كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا تكاملت أجسادهم نفخ فيها الروح ، ثم تلقى عليهم نومة ، فبينما هم في قبورهم إذ نفخ في الصور ، فجلسوا وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه ، فعند ذلك يقولون :[١٠] ﴿ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴾» . وأكثر القُرَّاء وأهل المعاني على أن الوقف تام عند قوله[١١] : ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ ، ثم يبتدئ فيقول : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴾ . قال ابن عباس : «تقول الملائكة : هذا ما وعد الرحمن على ألسنة الرسل أن يبعث بعد الموت ، ﴿ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ بأن البعث حق»[١٢] .

---

(٧) (الواو) هنا زائدة ، وليست في تفسير مقاتل .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٧ ب .

(٩) ذكر في تفسير الطبري ٢٣/ ١٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٥٠٥ ، وزاد المسير ٧/ ٢٥ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٦٣ ، وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٠) لم أقف عليه .

(١١) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٨٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٨٠ ، والقطع والائتناف ٩١ ، ومنار الهدى ٣٢٠ ، والمكتفى في الوقف والابتداء ٤٧٣ .

(١٢) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢ ، وذكر أكثر المفسرين هذا القول ، ولكن لم أقف على مَن نسبه إلى ابن عباس . انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢٤ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٨ ، وزاد المسير ٧/ ٢٦ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٤ .

وذهب آخرون إلى أن هذا من قول المؤمنين . روي عن أُبي بن كعب أنه قال : «فيقول المؤمن : ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾»[١] .

وقال قتادة : «أولها للكافرين وآخرها للمؤمنين . قال الكافر : يا ويلنا مَن بعثنا من مرقدنا ، وقال المسلم : هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» ، ونحو هذا قال مجاهد[٢] ، واختاره الزَّجَّاج[٣] . والقول الأول اختيار الفرَّاء[٤] . وهذا في موضع رفع ، كأنك قلت : هذا وعد الرحمن .

وذهب قوم إلى أن الوقف على قوله هذا ، على أن يكون هذا من نعت مرقدنا ، ثم تبتدئ : ما وعد الرحمن ، حكى ذلك النحاس[٥] ، وذكره الفرَّاء[٦] والزَّجَّاج ، قال الزَّجَّاج : «إذا وقفت على قوله هذا ، كان ما وعد الرحمن على ضربين ؛ أحدهما على إضمار هذا ، والثاني على إضمار حق ، فيكون المعنى : حق ما وعد الرحمن ، قال : والقول الأول -أعني ابتداء هذا- عليه التفسير ، وهو قول أهل اللغة»[٧] .

٥٣. ثم ذكر النفخة الثانية ، فقال : ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ الآية ، وهي ظاهرة ، وكذلك ما بعدها ، ثم ذكر -جل وعز- أولياءه ، فقال :

---

(١) لم أقف على هذا القول عن أُبي ، وقد ذكر المفسرون هذا القول عن قتادة ومجاهد . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٥ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٦ ، ١٧ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٥٠٥ .

(٢) انظر : المراجع السابقة .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩١ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٨٠ .

(٥) القطع والائتناف ٩١ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٨٠ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩١ .

٥٥. ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ﴾ . قال ابن عباس : «يريد في الآخرة»[١] .

﴿فِى شُغُلٍ﴾ ، وقُرِئ : (شُغْل) ، وهما لغتان[٢] .

قال ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة : «يريد افتضاض العذارى والأبكار»[٣] .

وقال مقاتل : «شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار ، فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم»[٤] .

وروى مجاهد عن ابن عباس : «شغلوا بفضة العذارى»[٥] .

وقال أبو الأحوص[٦] : «شغلوا بافتضاض[٧] الأبكار على السرر في الحجال» .

---

(١) في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٤٤٤ ، قال : «يوم القيامة» . لم أقف على مَن نسب هذا القول إلى ابن عباس . انظر : بحر العلوم ٣/ ١٠٣ ، وزاد المسير ٧/ ٢٧ ، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٧٥ .

(٢) انظر : علل القراءات ٢/ ٥٦٦ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢٩١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ١٨ ، وبحر العلوم ٣/ ١٠٣ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٨ .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٥) ذكره صاحب زاد المسير ٧/ ٢٧ ، وأورده الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٨ برواية عكرمة عن ابن عباس .

(٦) لم أستطع تحديده ، وقد يكون قاضي عُكبر ، أبا عبدالله محمد بن الهيثم بن حماد الثقفي ، مولاهم البغدادي المشهور بأبي الأحوص ، حدَّث عن أبي نُعيم وعبد بن رجاء وخَلْق غيرهما ، وروى عنه ابن ماجه حديثاً واحداً وأبو عوانة وعثمان بن السَّمَّاك وغيرهم . قال الدارقطني عنه : «إنه من الحفَّاظ الثقات» ، توفي بعكبرى سنة ٢٧٩هـ . انظر : تاريخ بغداد ٣/ ٣٦٢ ، وتهذيب الكمال ٢٦/ ٥٧١ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ١٥٦ ، أو لعله : الإمام الثقة سلَّام بن سليم الحنفي ، مولاهم الكوفي ، وقد تقدَّمت ترجمته .

(٧) في (ب) : (بافتضاض) .

وقوله: ﴿فَٰكِهُونَ﴾. قال ابن عباس: «ناعمون»[١].

وقال مقاتل وقتادة: «أي معجبون بما هم فيه»، وهو قول الحسن والكلبي[٢]. وهذان القولان عليهما أهل التفسير، ولكل منهما أصل في اللغة؛ فمَن قال: فاكهون ناعمون[٣] فأصله من الفكيهة والفاكهة، وهي المزاح والكلام الطيب، يقال: فاكهت القوم بملح الكلام مفاكهة.

روى أبو عبيد عن أبي زيد: «الفكه الطيب النفس الضحوك». روى شِمِر عنه: «رجل فكه وفاكهة»[٤]، وهو الطيب النفس المزاح[٥]، وأنشد أبو عبيدة:

فكهٌ العشيُّ إذا تأدبَ رحلُهُ ... رَكْبُ الشتاءِ مسامحٌ في الميسرِ[٦]

[وأنشد أيضاً][٧]:

فكِهٌ لدى جنبِ الخِوانِ إذا أتتْ ... نكباءَ تقلعُ ثابتَ الأطنابِ[٨]

---

(١) ورد في تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢، ولم أقف على مَن نسبه إلى ابن عباس، وقد ذكره أكثر المفسرين عن مقاتل وقتادة والسُّدِّي. انظر: تفسير الثعلبي ٣/ ٢٣٧ أ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٥، وبحر العلوم ٣/ ١٠٣، وزاد المسير ٧/ ٢٨، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٤.

(٢) تفسير مقاتل ١٠٨ أ، وانظر: المراجع السابقة.

(٣) في (أ): (فاكين ناعمين)، وهو خطأ.

(٤) هكذا في النسخ، وهو خطأ، والصواب: (فاكه).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (فكه) ٦/ ٢٦، واللسان (فكه) ١٣/ ٥٢٣.

(٦) البيت من الكامل، وهو لصخر بن عمرو بن الشريد، أخو الخنساء، في مجاز القرآن ٢/ ١٦٣، وأساس البلاغة (فكه) ٣٤٦.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٨) لعل نسبة هذا البيت إلى أبي عبيدة خطأ من المؤلِّف تابع فيه الأزهري، فقد نسبه إلى أبي عبيدة كما في تهذيب اللغة ٦/ ٢٦، أمَّا ابن منظور في اللسان فقال: «أنشده أبو عبيد». والبيت من الكامل، وهو من دون نسبة في تهذيب اللغة ٦/ ٢٦، واللسان (فكه) ١٣/ ٥٢٤، وأساس البلاغة (فكه) ٣٤٦.
الخِوان: ما يؤكل عليه (معرَّب)، والجمع أخون، والنكباء: كل ريح من الرياح الأربع انحرفت =

قال الفرَّاء والزَّجَّاج والكسائي : «الفاكه والفكه كالحاذر والحذر والفاره والفره ولم يسمع في الثلاثي فعل»[١] .

قال الأخفش : «ولم أسمع فكه يفكه»[٢] . ويجوز أن تكون الفاكه كاللابن والتامر ، وهو قول أبي عبيدة والأخفش .

قال أبو عبيدة : «مَن قرأها : (فاكهون) معناه صاحب فاكهة ؛ أي كثير الفاكهة» ، وأنشد للحطيئة ، فقال :

وغَرَرْتَني وزعمتَ أنَّكَ لابنٌ بالصيفِ تامرْ[٣][٤]

وقال أبو الحسن : «فاكهون به وفاكهة وذو الفاكهة ناعم»[٥] . فلذلك قال المفسرون في تفسير الفاكه : «أنه الناعم» ، ومَن قال : «الفاكه المعجب» ، فإن العرب تقول : «فكهنا من كذا ؛ أي تعجبنا» ، ومنه : قوله تعالى : ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة :٦٥] ؛ أي تعجبون[٦] .

٥٦. وقوله :﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ : يعني حلائلهم من الحور العين [][٧] .

= ووقعت بين ريحين ، وهي تهلك المال وتحبس القطر . انظر : اللسان (خون) ١٣/ ١٤ ، واللسان (نكب) ١/ ٧٧١ .

(١) ورد في معاني القرآن ٢/ ٣٨٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩١ ، ولم أقف على قول الكسائي .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) البيت من مجزوء الكامل ، وهو للحطيئة في ديوانه ٣٣ ، ومجاز القرآن ٢/ ١٦٤ ، والكتاب ٢/ ٨٨ ، والمقتضب ٣/ ٥٨ ، والخصائص ٣/ ٢٨٢ ، وهو من قصيدة يهجو بها الزبرقان بن بدر .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٦٤ .

(٥) لم أقف على قول أبي الحسن .

(٦) انظر : تهذيب (فكه) : اللغة ٦/ ٢٦ ، واللسان (فكه) ١٣/ ٥٢٣ .

(٧) ما بين المعقوفين قدر كلمة (أو كلمتين) لم أستطع قراءتها أو فهمها في النسخ جميعها .

ومنه قوله : ﴿ ظِلَلٍ ﴾ . قال مقاتل : «يعني أكنان القصور»[١] . وذكرنا معنى الظلال عند قوله : (يتفيأ ظلاله) [النحل :٤٨] .

وقُرِئ : (ظلل) ، وذكرنا معناها عند قوله : ﴿ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة :٢١٠][٢] . وتفسير الأرائك مذكور في سورة الكهف[٣] .

قال أبو علي الفارسي : «الظلل جمع ظلة ، مثل غرفة وغرف ، والظلال يجوز أن يكون جمع ظلة أيضاً كعبلة وعلاب ، [وجفرة][٤] وجفار ، وبرمة وبرام . ويجوز أن يكون جمع ظلل»[٥] .

قال أبو عبيدة في هذه الآية : «في ظلال واحدها ظلة والجمع الظلل ، وهو الكن لا يصحوا ، وقال : الأرائك واحدها أريكة ، وهي الفرش في الحجال» ، وأنشد قول ذي الرمة :

حدودٌ جفتْ في السيرِ حتى كأنَّما ... يباشرنَ بالمعزاءِ مسَّ الأرائكِ[٦][٧]

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٢) قال في هذا الموضع : «الظُّلل» : جمع ظلة مثل : هلة وهُلل ، والظُلة : ما يستظل به من الشمس ، ويسمى السحاب ظلة ؛ لأنه يستظل بها ، منه قوله : ﴿ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ﴾ «أراد غيماً تحت سموم» .

(٣) عند الآية ٣١ ، وهي قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

(٤) ما بين المعقوفين طمس في (أ) ، والجفرة تأنيث جَفْر ، وهو من أولاد الشاء إذا عظم وفصل عن أمه . انظر : اللسان ٤/ ١٤٢ .

(٥) الحجة ٦/ ٤٣ ، ٤٤ .

(٦) البيت من الطويل ، وهو لذي الرمة في شرح ديوانه ٣/ ١٧٢٩ ، ومجاز القرآن ١/ ٤٠١ ، ٢/ ١٦٤ . ومعنى البيت : جفت في السير : لم تطمئن فيه ، والأرائك : جمع أريكة ، وهي الأَسرَّة ، والمعزاء : أرض غليظة ذات حصى . يقول : كأنهن إذا وقعن على المعزاء وجدن بها مس الأرائك من التعب والإعياء . انظر : ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي ١٧٢٩ .

(٧) مجاز القرآن ٢/ ١٦٤ .

ونحو هذا قال أبو إسحاق[١] . وأمَّا المفسرون فإنهم قالوا في تفسير الأرائك : «إنها السرر عليها الحجال» ، وهو قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل[٢] .

وقال أحمد بن يحيى : «الأريكة لا تكون إلَّا سريراً في قبة علية شواره ومخدة»[٣] .

وقال الكلبي : «الأرائك السرر في الحجال ، لا تكون أريكة إلَّا إذا اجتمعتا ، فإذا تفرقتا فليس بأريكة»[٤] .

٥٧. وقوله : ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ . قال أبو عبيدة : «ما يتمنون ، تقول العرب : ادعُ على ما شئت ؛ أي تمنَّ»[٥] ، ونحو هذا قال ابن قتيبة[٦] ، والزَّجَّاج قال : «هو مأخوذ من الدعا . المعنى : كل ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم»[٧] .

قال ابن عباس : «يريد ما يتمنون وما يشتهون»[٨] ، وهو قول مقاتل[٩] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٢ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٢٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٥٠٨ ، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩ ، وتفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٣) انظر : زاد المسير ٥/ ١٣٨ ، وفتح القدير ٤/ ٣٦٥ . ومعنى شواره : أي زينته . انظر : اللسان (شور) ٤/ ٤٣٤ .

(٤) انظر : بحر العلوم ٣/ ١٠٣ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٦٤ .

(٦) تفسير غريب القرآن ٣٦٧ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٢ .

(٨) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢ .

(٩) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

وقال الكلبي : «يسألون من التحف والتمني»[١] . والسؤال معنىً وليس بتفسير . وحقيقة تفسيره ما ذكره الزَّجَّاج : «أي ما يدعونه أهل الجنة فهو لهم ؛ لأن الادعا افتعال من الدعا ، فيدعون بمعنى يدعون»[٢] .

٥٨. وقوله : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا ﴾ . قال أبو إسحاق : «سلام بدل من ما . المعنى : لهم سلام بقوله عز وجل : ﴿ قَوْلًا ﴾»[٣] . وهذا الذي ذكره الزَّجَّاج معنى قول أبي عبيدة : «سلام رفع على لهم عملت فيه ، وقولاً خرجت مخرج المصدر الذي يخرج من غير لفظ فعله[٤] ؛ أي يقولون ذلك قولاً» ، ونحو هذا قال الفرَّاء والكسائي[٥] .

قال ابن عباس : «يرسل الرحيم إليهم بالسلام»[٦] .

وقال الكلبي : «يرسل إليهم ربهم الملائكة في جناتهم بالتحف من عنده وبالسلام»[٧] .

وقال مقاتل : «إن الملائكة يدخلون على أهل الجنة من كل باب ، يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم[٨] . فهؤلاء قالوا : إن الله يرسل إليهم بالسلام» .

---

(١) لم أقف عليه عن الكلبي ، وقد ذكر نحوه الماوردي ٥/ ٢٦ عن أبي عبيدة .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٢ .

(٣) انظر : المرجع السابق .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ١٦٤ .

(٥) ورد في معاني القرآن ٢/ ٣٨٠ ، ولم أقف على قول الكسائي .

(٦) ذكر نحوه أبو حيان في البحر المحيط ٧/ ٣٢٧ عن ابن عباس .

(٧) لم أقف عليه عن الكلبي ، وانظر : تفسير هود بن محكم ٣/ ٤٣٨ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٧١ ، فقد ذُكر نحو هذا القول غير منسوب .

(٨) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

وروى جابر عن النبي ﷺ : «إن الله يشرف على أهل الجنة فيقول : السلام عليكم يا أهل الجنة» . فذلك قوله : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[١] ، وهو قول كعب القرظي[٢] .

٥٩. وقوله : ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ؛ أي انقطعوا وتميزوا منهم ، يقال : أمزت الشيء من الشيء أميزه ، إذا عزلته عنه ، فانماز وامتاز ، وميزته فتميز[٣] .

وقال ابن عباس : «يقول : تنحوا أيها المشركون»[٤] .

وقال مقاتل : «اعتزلوا اليوم -يعني في الآخرة- من الصالحين»[٥] .

وقال السُّدِّي : «كونوا على حِدة»[٦] ، وهذا قول أكثر المفسرين[٧] ، واختيار أبي إسحاق ، قال : «معناه : انفردوا عن المؤمنين»[٨] .

وقال الضحاك : «هم يفرد كل واحد من أهل النار بيتاً ويرد بابه ، فيكون فيه أبداً ، لا يَرى ولا يُرى ، وعلى هذا امتيازهم : أن يمتازوا بعضهم من بعض»[٩] .

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ، باب : ما أنكرت الجهمية ١/ ٣٦ ، رقم ١٧٢ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٨ : «رواه البزار ، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي ، وهو ضعيف» .

(٢) ذكر في تفسير الطبري ٢٣/ ٢١ ، وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٦٦ ، وزاد نسبته إلى أبي نصر السجزي في الإبانة .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (ماز) ١٣/ ٢٧٢ ، واللسان (ميز) ٥/ ٤١٢ .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكر نحوه الماوردي ٥/ ٢٦ عن الكلبي ، وذكره هود بن محكم في تفسيره ٣/ ٤٣٨ من دون نسبة .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٦) ذكره المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٥١٧ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ١٦ ، ومجمع البيان ٨/ ٦٧١ .

(٧) انظر : المراجع السابقة ، وانظر أيضاً : وبحر العلوم ٣/ ١٠٤ ، وزاد المسير ٧/ ٣٠ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٢ .

(٩) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٦ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٦ .

٦٠. وقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾؛ أي ألم آمر ولم أوصِ، كقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [طه: ١١٥]، وقد مرَّ.

قال ابن عباس: «ألم أقدم إليكم»[١].

وقال الزَّجَّاج: «ألم أتقدم إليكم، يعني على لسان الرسل[٢]. ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾». قال مقاتل: «يعني الذين أمروا بالاعتزال»[٣].

﴿أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾؛ أي لا يطيعوا إبليس في الشرك. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ من العداوة إخراج أبويكم من الجنة، قاله ابن عباس[٤]. قال سعيد بن جبير والكلبي: «مَن أطاع الشيطان فقد عبده»[٥].

٦١. ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾: يعني: ألم أعهد إليكم أن اعبدوني؟ قال ابن عباس: «أطيعوني»[٦]، وقال مقاتل: «وحِّدوني»[٧]. ﴿هَٰذَا﴾: يريد الذي جاء به محمد ﷺ. ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٨]: يعني دين الإسلام. ثم ذكر عداوته لبني آدم، فقال: [ ][٩]

---

(١) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٢.

(٣) تفسير مقاتل ١٠٨ أ.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه عنهما، وذكره السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ١٠٤، ونسبه إلى ابن عباس.

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس، وانظر: بحر العلوم ٣/ ١٠٤، وزاد المسير ٧/ ٣٠، وتفسير البغوي ٤/ ١٧.

(٧) تفسير مقاتل ١٠٨ أ.

(٨) قوله: (مستقيم) غير مثبت في (ب).

(٩) في (أ): زيادة (قوله تعالى)، وهو هنا زائد لا يلزم السياق.

٦٢. قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾ ؛ أي عن الهدى . ﴿ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾ فيه وجوه من القراءة : جُبُلاً وجُبُلّاً بالضم وتشديد اللام ، قال : وجبل وجِبِلَّة لغات كلها[١] ، ونحو هذا قال أبو عبيدة ، قال : «ومعناها : الخلق والجماعة»[٢] .

وقال الليث : «الجبلة الخلق خلقهم الله فهم مجبولون ، وأنشد :

بحيثُ شدَّ الجبابلُ المجابلا[٣] .

أي : حيث شد أسر خلقه[٤] . وجبل الإنسان على هذا الأمر ؛ أي طبع ، فهو مجبول عليه» .

قال ابن عباس ومجاهد والمفسرون : «خلقاً كثيراً»[٥] .

قوله : ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد ما رأيتم من الأمم قبلكم ألم تعقلوا فتعتبروا بما رأيتم من الأمم قبلكم»[٦] .

٦٣. قال مقاتل : «فلمَّا دنوا من النار ، قال لهم خزنتها : ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ بها في الدنيا فتكذبون»[٧] .

---

(١) الحجة ٦/ ٤٤ ، ٤٥ ، والحجة في القراءات السبع ٢٩٩ ، وعلل القراءات ٢/ ٥٦٧ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٦٤ .

(٣) شطر بيت لم أقف على تمامه ولا قائله ، وهو في تهذيب اللغة ١١/ ٩٦ ، واللسان ١١/ ٩٨ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (جبل) ١١/ ٩٦ ، واللسان (جبل) ١١/ ٩٨ .

(٥) انظر : تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٢ ، وتفسير مجاهد ٥٣٦ ، وانظر أيضاً : تفسير البغوي ٢٣/ ٢٣ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٧ ، وبحر العلوم ٣/ ١٠٤ .

(٦) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : الوسيط ٣/ ٥١٧ ، وبحر العلوم ٣/ ١٠٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ١٧ ، وزاد المسير ٧/ ٣١ .

(٧) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

٦٤. ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ : قاسوا حرها وشدتها . ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ : يعني في الآخرة . ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ : بكفرهم بما كان في الدنيا .

٦٥. وقوله : ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ﴾ . قال مقاتل والكلبي : «وذلك أنهم أنكروا الشرك والتكذيب ، فيختم الله على أفواههم ، وتكلمت جوارحهم بإذن لها في الكلام ، فشهدت عليهم بما عملوا»[١] .

٦٦. وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ : ذكرنا معنى الطمس في سورة النساء ويونس[٢] . قال أبو عبيدة[٣] والمُبرِّد[٤] والزَّجَّاج[٥] في هذه الآية : «يقال : عين طمس ومطموس ، وهو الذي لا يرى شق عينه ، ولا يتبين جفنه» . وذكرنا في تفسير هذه الآية قولين : قال مقاتل : «يقول : لو نشاء لحوَّلنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا طريق الهدى ، ثم قال : ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ يقول : فمن أين يبصرون طريق الهدى ، ولِمَ أُعِمَّ عليهم طريق الكفر ؟»[٦] ، ونحو هذا قال الكلبي[٧] .

---

(١) انظر : المرجع السابق ، ولم أقف عليه عن الكلبي .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء :٤٧] ، وهذه الآية مع آية أخرى ناقصة من المخطوط ، وعند قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس :٨٨] ، وقال المؤلِّف في هذا الموضع بعد أن أحال على آية النساء : «قال الزَّجَّاج : تأويل طمس الشيء : إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كانت عليها» .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٦٥ .

(٤) لم أقف على هذا القول عن المُبرِّد .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٣ .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٧) ورد في بحر العلوم ٣/ ١٠٤ ، ونسبه بعض المفسرين إلى قتادة القائل . انظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٦ ، وزاد المسير ٧/ ٣٢ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٤٩ .

القول الثاني : أن معنى الآية : لو نشاء لأعميناهم وتركناهم عمياً يترددون ، وكيف يبصرون الطريق حينئذٍ ؟ وهذا قول الحسن وقتادة والسُّدِّي[١] ، وهو الاختيار لأن الله تعالى يهددهم بهذه الآية كالتي بعدها كما قال : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة :٢٠] ، يقول : «كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة» ، وهذا القول اختيار المُبرِّد والزَّجَّاج .

قال المُبرِّد : «تأويل الآية ، قال : راموا الاستباق إلى المنهاج ، فمن أين لهم أبصار ؟»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : «أي لو[٣] نشاء لأعميناهم فعدلوا عن الطريق ، فمن أين[٤] يبصرون ؟» .

وذكرنا معنى الاستباق عند قوله : ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ [يوسف :٢٥] . والاستباق هاهنا معناه غير معنى ما تقدَّم . قال الأزهري : «﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ فجازوا الصراط وخلفوه ، وهذا الاستباق من واحد ، والذي في سورة يوسف من اثنين ؛ لأن هذا بمعنى سبقوا ، والأول بمعنى المسابقة»[٥] . هذا كلامه ، ويدل على صحته قول أبي إسحاق[٦] : «عدلوا عن الطريق [في هذه الآية]»[٧] . ومعنى عدلوا عن الطريق ما ذكره الأزهري : «جازوا الصراط وخلفوه» .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦ .

(٢) لم أقف على قول المُبرِّد .

(٣) في (ب) : (ولو نشاء) .

(٤) في (أ) كرر قول الزَّجَّاج ، ولكنه قال في آخر مرة : «فمن أين لهم أبصار ؟» ، وقال في الأخرى : «فمن أين يبصرون ؟» . انظر : معاني الزَّجَّاج ٤/ ١٩٣ .

(٥) تهذيب اللغة (سبق) ٨/ ٤١٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩٣ .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة في (أ) .

ويدل عـــلى صحة القول الثاني ما ذكره عطاء عن ابـــن عباس في هذه الآية ، قال : «إن الأسود بن عبدالأسود أخذ حجراً وجماعة من بني مخزوم معه ليطرحوه على رســـول الله ﷺ وهو يصلي ، فطمس الله بصره وألصق الحجر بيده ، فما أبصر ولا اهتدى»[١] . ومعنى الاستباق في هذا القول ما ذكروا في القول الأول ، معناه : فاهتدوا الطريق .

قال الكلبي : «فاستبقوا إلى الصراط المستقيم»[٢] . وفي هذا القول عدول عن الظاهـــر ؛ لأن قوله : ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ يقتضي طمس الأعين الظاهرة مع أنه ليس يليق بما بعده ، وهو قوله[٣] :

٦٧. ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا﴾ . قال ابن عباس : «يريد لمسخت أبا جهل وكل مَن معه ، على مكانتهم : يريد بالموضع الذي كانوا فيه قعوداً»[٤] .

قال أبو عبيدة[٥] والزَّجَّاج[٦] : «المكانة والمكان واحد» ، وهذا مما تقدَّم القول فيه .

وقال مقاتل : «لو شئت لمسختهم حجارة في منازلهم ليس فيها أرواح» .

---

(١) انظر : القرطبي ١٥/ ٥٠ .

(٢) لم أقـــف عليه عن الكلبـــي ، وقد ذكر نحوه القرطبي عن ابن عبـــاس ١٥/ ٤٩ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٢ ، وقال : «روى عن جماعة منهم مقاتل» .

(٣) في (ب) : (واو) ، زائدة (وقوله) ، وهو خطأ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٢٩ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٥١٤ .

(٥) مجاز القرآن ٢/ ١٦٥ .

(٦) مجاز القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٣ .

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ . قال : «يقول : لا يتقدمون ، ولا يتأخرون»[١] ، وقال ابن عباس : «لم يتقدموا ، ولم يتأخروا»[٢] .

وقال أبو إسحاق : «أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء»[٣] . هذا الذي ذكرنا هو الصحيح في تفسير الآية ، وقال قتادة : «يقول لو نشاء لجعلناهم كسحاً لا يقومون»[٤] . والكسح جمع الأكسح ، وهو المقعد ، والقول هو الأول ؛ لأن معنى المسخ تحويل الصورة إلى صورة ذي روح كالقرد والخنزير ، ولم يصح عنده هذا المسخ في الآية مع قوله : ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا﴾ ، فعدل إلى المسخ بالإقعاد ، وليس كما ظن ؛ فإنه يقال : مسخه الله حجراً ، وقد أوضح ذلك مقاتل .

٦٨. قوله تعالى : ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ، وقُرِئ : (نُنَكِّسه) بالتشديد ، يقال : نكسته[٥] أنكسه وأنكسه ، ونكسته أنكسه[٦] . وقد ذكرنا معنى النكس عند قوله : ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ﴾ [الأنبياء :٦٥][٧] . قال الأخفش : «ننكسه هو كلام العرب ، ولا يكادون يقولون : نكسته إلَّا لمَّا يقلب ؛ فيجعل[٨] رأسه أسفله»[٩] . قال مقاتل : «يعني أدرك العمر»[١٠] .

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٨ أ .

(٢) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٣ ، وزاد المسير ٧/ ٣٣ ، وانظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٢٦ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٩ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٣ .

(٤) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٤٦١ ، والمحرر الوجيز ٤/ ١٤٥ ، وزاد المسير ٧/ ٣٣ .

(٥) في (ب) : (نكسه) .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٢٧ ، والحجة ٦/ ٤٥ .

(٧) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ٣/ ٢٤٦ أ .

(٨) في (ب) : (فنجعل) .

(٩) انظر : الحجة ٦/ ٤٥ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/ ٢٢٠ .

(١٠) لم أقف على قول مقاتل ، وليس في تفسيره .

وقال أبو إسحاق : «مَن أطلنا عمره نكسنا خلقه ، فصار بدل القوة ضعفاً ، وبدل الشباب هرماً»[١] ، وهذا معنى قول قتادة : «هو الهرم يتغير بصره وقوته ، كما رأيت قوله في رواية معمر»[٢] . وهذا عام في كل مَن يهرم ، تتراجع قوته ويتغير عمَّا كان عليه في شبابه .

وقال الكلبي[٣] : «مَن نعمِّره حتى يدركه الهرم يردُّه في الخلق الأول الذي كان لا يعقل فيه شيئاً» ، وروي ذلك عن قتادة[٤] ، قال : «ننكِّسه في الخلق لكي لا يعلم بعد علم شيئاً ، يعني الهرم» . وهذا لا يعم ؛ لأنه ليس كل مَن عُمِّر صار إلى الفند ، على أن ابن عباس خص الآية ، بالكافر فقال في رواية عطاء : «ومن نعمِّره يريد المشركين ، نردُّه إلى ذهاب العقل» ، كما قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين :٥] يريد الكافرين من ولد آدم[٥] . فالنكس على هذا القول ردَّه من حالة العلم إلى حالة الجهل ، وعلى القول الأول من القوة إلى الضعف ، ومن الشباب إلى الشيب ، ومن الزيادة إلى النقصان .

وقوله : ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ ؛ أي فليس لهم عقل فيعتبروا فيعلموا أن الذي قدر على هذا من تصريف أحوال الإنسان ، قدر على البعث بعد الموت ، ومَن قرأ بالتاء ، فلقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٣ .

(٢) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٥ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٥١٤ .

(٣) لم أقف على قول الكلبي ، وذكر نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٢٠٠ عن قتادة .

(٤) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٧٤ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٥١ .

(٥) لم أقف عليه .

٦٩. قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾. قال الكلبي[١] ومقاتل[٢]: «نزلت في مشركي مكة، حين قالوا: إن القرآن شعر، وإن محمداً شاعر ساحر كذاب، فقال الله تكذيباً لهم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾». قال ابن عباس: «يريد ما[٣] ينبغي له الشعر، ما كان يروي بيت شعر ولا يقومه مستقيماً»[٤]. قال أبو إسحاق: «وما يتسهل ذلك»[٥].

وأصل (ينبغي) من قولهم: بغيت الشيء أبغيه؛ أي طلبته، فابتغى لي ذلك الشيء أن تسهل وحصل، كما تقول: كسرته فانكسر[٦]. وكان النبي ﷺ بالصفة التي وصفه الله بها ما كان يقرن له بيت شعر، حتى إنه إذا تمثَّل بيت شعر جرى على لسانه منكسراً، فقد روي أنه كان يتمثَّل بقول العباس بن مرداس، فيقول:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ[٧]

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) تفسير مقاتل ١٠٨ ب، وتفسير البغوي ٤/ ١٨، وزاد المسير ٧/ ٣٤.

(٣) في (ب): (وما).

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس، وانظر: تفسير الطبري ٢٣/ ٢٧، وبحر العلوم ٣/ ١٠٥، وتفسير البغوي ٤/ ١٨، ومجمع البيان ٨/ ٦٧٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٣.

(٦) انظر: تهذيب اللغة (بغي) ٨/ ٢١٢، واللسان (بغا) ١٤/ ٧٦.

(٧) البيت من المتقارب، وصحته:
أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وهو في ديوان العباس ٨٤، ولسان العرب (نهب) ١/ ٧٧٤، وتاج العروس (نهب) ٤/ ٣١٩، وخزانة الأدب ١/ ١٥٣. وذكر هذا الأثر القرطبي في تفسيره ١٥/ ٥٢.

وكان يتمثَّل بقول عبد بني الحسحاس[١] ، يقول :

كلي[٢] الإسلامُ والشيبُ للمرءِ ناهياً[٣]

وكان يتكلم بيت طرفة ، فيقول :

وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ بِالأَخْبَارِ[٤]

---

(١) عبد بني الحسحاس ، اسمه سحيم ، وكان عبداً أسودَ نوبياً أعجمياً ، وهو من المخضرمين ، أدرك الجاهلية والإسلام ، ولا يعرف له صحبة . قُتل في خلافة عثمان رضي الله عنه ، قتله بنو الحسحاس لأنه أحبَّ امرأة منهم ، وطفق يتغزل فيها ، فقتلوه خشية العار . انظر : الخزانة ٢/ ١٠٢ ، والأغاني ٢٢/ ٣٠٥ ، والشعر والشعراء ٢٤١ .

(٢) هكذا في النسخ ، وهو خطأ ، والصواب : (كفى) .

(٣) البيت من الطويل ، وصحته :

عُمَيرةَ وَدِّعْ إِنْ تَجَهَّزْتَ غازياً كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلامُ لِلْمَرءِ نَاهِياً

وهو لسحيم في البيان والتبيين ١/ ٧١ ، والكامل ١/ ٢٨٥ ، والخزانة ١/ ٢٦٧ ، ٢/ ١٠٢ ، والأغاني ٢٢/ ٣٠٧ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٤١ .

وذكر هذا الأثر الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٩/ ٣٥٢ ، وقال : «أخرجه ابن سعد عن الحسن البصري» ، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ٥٢ .

(٤) البيت من الطويل ، وصحته :

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

وهو لطرفة بن العبد في معلقته المشهورة في ديوانه ٤١ ، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ٢/ ٥٧ ، ولسان العرب (تبت) ٢/ ٨ ، وتاج العروس ١٥/ ١٥٠ .

فيعاد عليه مستوياً ، فيقول : إني «لست بشاعر ولا ينبغي لي»[١] . والمفسرون ذهبوا إلى أنه ما كان يتسهل له أن يأتي بيت موزون ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ . وما روي عنه من الأراجز كقوله : «هلْ أنتِ إلَّا إصبعٌ دَمِيتِ»[٢] .

وقوله : «لبيكَ إنَّ العيشَ عيشُ الآخرةِ»[٣] .

فالرجز جنس من الكلام ليس بشعر[٤] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٣١ ، ١٤٦ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٥٤٩ ، والترمذي في سننه ، أبواب : الآداب ، باب : ما جاء في إنشاد الشعر ٤/ ٢١٨ ، رقم ٣٠٠٦ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٢٨ : «رواه الترمذي عن عائشة ، ورواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، ورواه البزار ، والطبراني عن ابن عباس ، ورجالهما رجال الصحيح» .

(٢) هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : مَن ينكب في سبيل الله ٣/ ١٠٣١ ، رقم ٢٦٤٨ ، وكتاب : الأدب ، باب : ما يجوز من الشعر ٥/ ٢٢٧٦ ، رقم ٥٧٩٤ من حديث جندب بن سفيان ، وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/ ١٤٢١ ، رقم ١٧٩٦ من حديث جندب بن سفيان .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : التحريض على القتال ٣/ ١٠٤٣ ، رقم ٢٦٧٩ ، وباب : البيعة في الحرب ألَّا يفروا ٣/ ١٠٨١ ، رقم ٢٨٠١ عن أنس ، وكتاب : الرقاق ، باب : ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلَّا عيش الآخرة ٥/ ٢٣٥٧ ، رقم ٦٠٥٠ عن أنس ، ورقم ٦٠٥١ عن سهل بن سعد الساعدي ، وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الجهاد ، باب : غزوة الأحزاب ٣/ ١٤٣١ ، رقم ١٨٠٤ من حديث أنس .

(٤) ذكر الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري ٨/ ٣٨ في شرحه لقول النبي ﷺ : «أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب» . قال : «وقد أجيب عن مقالته ﷺ هذا الرجز بأجوبة : أحدها : أنه نظمه غيره وأنه كان فيه : أنت النبي لا كذب أنت عبدالمطلب ، فذكره بلفظ أنا في الموضعين . ثانيها : أن هذا رجز وليس من أقسام الشعر ، وهذا مردود . ثالثها : أنه لا يكون شعراً حتى يتم قِطْعَة . وهذه كلمات يسيرة لا تسمى شعراً . رابعها : أنه خرج موزوناً ولم يقصد به الشعر ، وهذا أعدل الأجوبة» . وقال الإمام القرطبي في تفسيره ١٥/ ٥٢ : «وإصابته ﷺ الوزن أحياناً لا يوجب أنه يعلم الشعر ، وكذلك ما يأتي أحياناً من نثر كلامه ما يدخل في وزن . . . . فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن وفي كل كلام وليس ذلك شعراً ولا في معناه» . للاستزادة ، انظر : فتح الباري ٨/ ٣٨ ، ١٠/ ٦٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٥١ ، والشعر الإسلامي في صدر الإسلام ٢٤ وما بعدها .

وقال أبو إسحاق : «ليس يوجب هذا أن يكون النبي ﷺ لم يتمثَّل بيت شعر قطُّ ، وإنما يوجب هذا أنه ليس بشاعر ، وأن يكون القرآن أتى به مبايناً لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العرب»[١] . وعلى ما ذكر قوله : ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ معناه : وما يسهل له إنشاء الشعر من قبل نفسه .

قوله : ﴿إِنۡ هُوَ﴾ . قال مقاتل : «القرآن»[٢] . ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ . قال ابن عباس : «موعظة» . ﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ . قال : «يريد فيه الفرائض والحدود والأحكام»[٣] .

٧٠. ﴿لِّيُنذِرَ﴾ ؛ أي القرآن ، ومَن قرأ بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ ؛ أي لتنذر يا محمد بما في القرآن من الوعيد[٤] .﴿مَن كَانَ حَيّٗا﴾ . قال ابن عباس : «يريد مؤمناً»[٥] .

وقال مقاتل : «مَن كان مهتدياً في علم الله»[٦] .

وقال أبو إسحاق : «أي مَن يعقل ما يخاطب به ، فإن الكافر كالميت ، وإنه لا يتدبر»[٧] .

وقال أبو علي الفارسي : «يعني المؤمنين ؛ لأن الكفار أموات كما قال : ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾ [النحل :٢١] . وقال : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا﴾ [الأنعام :١٢٢]»[٨] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٤ .
(٢) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .
(٣) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ١٩ ، وزاد المسير ٧/ ٣٣ .
(٤) انظر : الحجة ٦/ ٤٧ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/ ٢٢٠ .
(٥) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير الماوردي ٥/ ٣٠ ، وزاد المسير ٧/ ٣٧ .
(٦) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٤ .
(٨) الحجة ٦/ ٤٧ .

وقوله : ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ ؛ أي ويجب الحجة بالقرآن على الكافرين ، ثم وعظهم ليعتبروا ، فقال : [ ][1]

٧١. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ ؛ أي مما تولينا خلقه .

﴿أَيْدِينَآ﴾ : بإبداعنا وإنشائنا واختراعنا ، لم نشارك في خلقه ، ولا خلقناه بإعانة معين ، ولا إرشاد دليل . وذكر الأيدي هاهنا بدل هذه المعاني التي[2] ذكرنا ، وإنما خاطبنا بما نعقل ، والألفاظ التي تستعمل نستعملها في مخاطبتنا ، والواحد منَّا إذا قال : عملت هذا بيدي دلَّ ذلك على توليته بعمله وانفراده به[3] .

وأراد بالأنعام : الإبل والبقر والغنم . وقال المفسرون في قوله : ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ : «عملناه» .

قوله تعالى : ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ . قال مقاتل : «يعني لضابطين»[4] ، وقال الزَّجَّاج : «مالكون ضابطون ؛ لأن القصد إلى أنها ذليلة لهم ، ألا ترى إلى قوله :

٧٢. ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ ، ومثله قول الشاعر :

أصبحتُ لا أحمـلُ السلاحَ ولا ... أملـُك رأسَ البعـير إنْ نفـرا[5]

---

(١) في (أ) : زيادة (قوله) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

(٢) في (ب) : (الذي) .

(٣) سبق أن بيَّنَّا خطأ المؤلِّف ـ رحمه الله ـ في تفسير مثل هذه الآية ؛ حيث إنه يؤول بعض الصفات ، وأهل السُّنة والجماعة يثبتون لله ـ جل وعلا ـ ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل .

(٤) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٥) البيت من المنسوخ ، وهو للربيع بن ضبع الفزاري في الخزانة ٧/ ٣٨٤ ، والكتاب ١/ ٨٩ ، ولسان العرب (ضمن) ١٣/ ٢٥٩ .

أي : لا أضبط رأس البعير»[١] .

وقوله ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ . قال الليث : «الركوب بفتح الراء كل دابة تركب ، والركوبة اسم يجمع ما يركب ، كالحمولة والركوبة والحلوبة»[٢] .

وقال أبو عبيدة : «ركوبهم ما ركبوا ، والحلوبة ما حلبوا»[٣] .

قال الأزهري[٤] : «فعول أكثر ما يجيء الفاعل كالمغفور والشكور ، ويجيء بمعنى مفعول كالركوب والحلوب ، وربما أدخلوا الهاء في هذا الباب ، وقد يجيء اسماً لا صفةً كالذنوب ، وهو النصيب أو الدلو ، وقد يجيء مصدراً كالقبول والولوغ والزروع [والوزوع]»[٥] .

قال مقاتل : «فمنها ركوبهم ، يعني حلوبتهم الإبل والبقر ، ومنها يأكلون الغنم»[٦] .

٧٣. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ . قال ابن عباس والكلبي : «يعني بالركوب والحمل والأصواف والأوبار والأشعار والسحال[٧] والفصلان ومنافع كسبها

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٤ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (ركب) ٨/ ٢١٨ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٦٥ .

(٤) تهذيب اللغة ٨/ ٢١٦ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ب) .

(٦) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٧) السحال : جمع سحليل ، وهو الناقة العظيمة الضرع التي ليس في الإبل مثلها ، فتلك ناقة سحليل ، وأما الفصلان : جمع فصيل ، وهو ولد الناقة إذا فُصل عن أمه ، وأكثر ما يطلق في الإبل ، وقد يقال في البقر . انظر : اللسان (فصل) ١١/ ٥٢٢ .

وظهورها»[١] . ﴿وَمَشَارِبُ﴾ : من ألبانها . ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ رب هذه النعم فيوحِّدونه .

٧٤. ثم ذكر جهلهم وغرتهم[٢] ، فقال : ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾[٣] ؛ أي لعلهم يمنعون من العذاب باتخاذ الآلهة .

٧٥. ثم بيَّن أن الأمر ليس على ما يقدرون ، فقال : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ .

قال ابن عباس : «يريد أن الأصنام لا تقدر على نصرهم»[٤] .

وقال مقاتل : «لا تقدر الآلهة أن تمنعهم من العذاب»[٥] . ﴿وَهُمْ﴾ : يعني الكفار . ﴿لَهُمْ﴾ : الآلهة . ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ .

وقال ابن عباس ومقاتل : «وهم لهم جند يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا»[٦] ، وهذا قول قتادة والحسن ، واختيار أبي إسحاق .

قال قتادة : «يغضبون للآلهة في الدنيا ، وهي لا تسوق إليهم[٧] خيراً ، ولا تدفع عنهم شراً ، إنما هي أصنام»[٨] .

---

(١) لم أقف عليه عنهما ، وقد أورده بعض المفسرين غير منسوب . انظر : تفسير القرطبي ١٥/ ٥٦ ، وزاد المسير ٧/ ٣٩ .

(٢) لعله من التَّغرير ، وهو حمل النفس على الغَرَر ، والغُرور (بالضم) : الأباطيل . انظر : اللسان (غرر) : / ١٢ .

(٣) قوله : (آلهة) غير مثبت في النسخ ، وهو خطأ .

(٤) تفسير ابن عباس بهامش المصحف ٣٧٣ ، وانظر : الوسيط ٣/ ٥١٩ ، وتفسير البغوي ٤/ ٢٠ .

(٥) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٦) لم أقف عليه منسوباً إلى ابن عباس ، وهو في تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٧) في (ب) : (لهم) .

(٨) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٢٩ ، وبحر العلوم ٣/ ١٠٦ ، وزاد المسير ٧/ ٣٩ .

وقال الحسن : «محضرون لآلهتهم يدفعون عنهم ويمنعونهم»[١] .

وقال أبو إسحاق : «أي هم للأصنام ينتصرون ، والأصنام لا تستطيع نصرهم»[٢] ، وهذا القول هو الاختيار[٣] . وفيه قول آخر ، وهو أن المعنى : والآلهة جند للعابدين محضرون معهم في النار ، يريد أن العابدين والمعبودين كلهم مجتمعون في النار ، فلا يدفع بعضهم عن بعض ، ولا ينتفع الكفار بعبادتهم ورجائهم نصرتهم . وهذا معنى قول الكلبي ،[٤] ورواية معمر عن الحسن[٥] ، وعلى هذا القول ﴿هُمْ﴾ كناية عن الآلهة ، والكناية في هم الكفار والخلق لفظ للجند على الآلهة بزعمهم ، وعلى ما كانوا يقدرون من أنها لهم جند تمنعهم ، فقيل : إنهم لهم جند محضرون معهم النار . ثم عزَّى نبيه ﷺ ، فقال : [ ][٦]

٧٦. ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ في ضمائرهم من الشرك والتكذيب . ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم . والمعنى : أنَّا نعلم ذلك ، ثم إذا علم أثاب نبيه على صبره على أذاهم وجازاهم بسوء صنيعهم ، وكأنه قال : لا يحزنك ما يقولون ، فإنَّا نثيبك ونجازيهم .

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ١٥/ ٢٩٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٥ .

(٣) وهو ما رجَّحه الإمام الطبري ٢٣/ ٣٠ .

(٤) انظر : زاد المسير ٧/ ٣٩ .

(٥) انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٤٦ ، وزاد المسير ٧/ ٣٩ .

(٦) في (أ) : زيادة (وقوله تعالى) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

٧٧. وقولـه : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء[١] : «يريد أُبي ابن خلف» ، وهو قول مقاتل[٢] ، والأكثرين[٣] .

وقال سعيد بن جبير[٤] : «هو العاص بن وائل» .

وقال الحسن[٥] : «هو أمية بن خلف ، خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث ، وأتاه بعظم حائل ففتَّه بين يديـه ، وقال[٦] : أيحي هذه الله بعدما رمَّ[٧] وبلي ؟ فأنزل الله [وقولـه][٨] : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ ، يعني : ألا يـرى أنه مخلوق من نطفة ثم هو يخاصم ؟ وهذا تعجب من جهله وإنكار عليه خصومته ؛ أي كيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع خصومته[٩] ؟ وهذا كقوله : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل :٤]» ، وقد مرَّ تفسيره .

---

(١) ذكـر في بحر العلـوم ٣/ ١٠٧ ، وأورده السـيوطي في الـدر ٧/ ٣٩ ، وعزاه إلى ابـن مردويه عن ابن عباس .

(٢) تفسير مقاتل ١٠٨ ب .

(٣) قال به مجاهد وقتادة والسُّـدِّي وعكرمة والكلبي . انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠ ، وتفسير الماوردي ٥/ ٣٣ ، وبحر العلوم ٣/ ١٠٧ . قال ابن الجوزي في زاد المسـير ٧/ ٤١ : «وبه قال الجمهور ، وعليه المفسرون» .

(٤) انظر : تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠ ، وزاد المسير ٧/ ٤٠ ، وتفسير القرطبي ١٥/ ٧٠ .

(٥) انظر : مجمع البيان ٨/ ٦٧٨ ، وزاد المسير ٧/ ٤١ ، وفتح القدير ٤/ ٣٨٣ .

(٦) في (ب) : (فقال) .

(٧) في (ب) : (ورمى) .

(٨) ما بين المعقوفين غير مثبت في (أ) .

(٩) هذه الأقوال التي ذكرها المؤلِّف ـرحمه اللهـ في مَن نزلت هذه الآية هي بعض ما قاله المفسرون . وقد قال ابن كثير ـرحمه اللهـ في تفسـيره ٣/ ٥٨١ بعد أن ذكر الأقوال : «وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيـات قد نزلـت في أُبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما ، فهي عامـة في كل مَن أنكر البعث ، والألف واللام في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ للجنس ، فيعم كل منكر للبعث» . اهـ .

٧٨. ثم أكَّد الإنكار عليه بقوله : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ . قال مقاتل[١] : «وصف لنا شبهاً ، يعني أنه ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم الحائل ، ففتَّه وبذره وينكر إحياءه بعد بلائه ويتعجب ممن يقول : إن الله يحييه . فهذا معنى ضرب المثل هاهنا ، وهو أنه بيَّن بما فعله إنكار البعث واعتقده في استحالة الإعادة ، وكان ذلك ضرب مثل الله ؛ أي فإن قدر على الإحياء والإعادة فليحي هذا العظم» .

قوله تعالى : ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ . قال مقاتل : «يقول : وترك النظر في خلق نفسه أئذا خلق من نطفة ولم يك قبل ذلك شيئاً»[٢] . ثم بيَّن أيش[٣] كان ذلك المثل بقوله [ ][٤] : ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ . قال أبو عبيد : «الرميم مثل الرمة ، يقال منه : رمَّ العظم ، وهو يرم رمّاً ، وهو رميم»[٥] ، وقال ابن الأعرابي : «رمت عظامه وأرمت إذا بليت»[٦] .

وقال أبو عبيدة : «الرميم الرفات»[٧] . وإنما قال رميم بغير هاء ، وهو صفة العظام ؛ لأنه منقول عن فاعل ، فهو غير مبني على الفعل ، وإذا لم يبنَ على الفعل لم يدخل عليه علامة التأنيث .

---

(١) تفسير مقاتل ١٠٩ أ .
(٢) انظر : المرجع السابق .
(٣) أصل الكلمة : (أي شيء) .
(٤) في (أ) : زيادة (قوله) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .
(٥) انظر : تهذيب اللغة (رمم) ١٥/ ١٩١ .
(٦) انظر : اللسان (رمم) ١٢/ ٢٥٣ .
(٧) مجاز القرآن ٢/ ١٦٥ .

٧٩. ثم ذكر جواب المنكر بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. قال ابن عباس: «يريد ابتدأها أول مرة»[١].

قال أبو إسحاق: «والقدرة في الابتداء أبين من الإعادة»[٢].

وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾. قال ابن عباس: «يريد حين ابتدأه، وحين يعيده»[٣].

وقال مقاتل: «عليم بخلقهم في الدنيا، وعليم بخلقهم بعد الموت»[٤].

٨٠. ثم زاد في البيان وأخبر عن عجيب صنعه مما يشاهدون؛ ليعتبروا ويستدلوا، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾. قال الكسائي والفرَّاء[٥]: «ذكر الشجر هاهنا، وفي قوله: ﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥٢-٥٣] ذكرها بالتأنيث، ثم ذكر أيضاً في قوله: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠] والشجر يؤنث ويذكر كالنخل»، و [٦] قد تقدَّم الكلام فيه[٧].

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره المؤلِّف في الوسيط ٣/ ٥٢٠ من دون نسبة، وكذا الماوردي ٥/ ٣٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٥.

(٣) لم أقف عليه عن ابن عباس، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٣٢ من دون نسبة.

(٤) تفسير مقاتل ١٠٩ أ.

(٥) لم أقف على قول الكسائي، وانظر قول الفرَّاء في: معاني القرآن له ٢/ ٣٨٢.

(٦) قدر كلمة في النسخ جميعها غير واضحة.

(٧) لم أقف على الموضع الذي أحال المؤلِّف -رحمه الله- إليه.

وقوله : ﴿نَارًا﴾ : يعني ما جعل من النار في المرخ والعفار ، وهما شجرتان تتخذ الأعراب وقودها منهما . وقال ابن عباس : «ليس من شجرة إلَّا وفيها نار إلَّا الشجرة[١] التي كلَّم الله موسى منها ، وهي العناب»[٢] .

وقوله : ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ؛ أي تقدحون النار وتوقدونها من ذلك الشجر . قال مقاتل : «والذي يخرج من الشجر ناراً وأنتم تبصرونه ، والنار تأكل الحطب ، فهو قادر على البعث»[٣] . ومعنى الآية : أنه يدلهم على قدرته على البعث بخلقه النار في الشجر الأخضر ، ثم إيقادهم النار من الشجر الأخضر . قال مقاتل : «ثم ذكر ما هو أعظم خلقاً من الإنسان[٤] ، فقال : [ ][٥]

٨١. ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ : هذا استفهام معناه التقرير ، يقول : أو لا يقدر مَن خلق السموات والأرض على أن يخلق مثلهم» . قال مقاتل : «أن يخلق في الآخرة مثل خلقهم في الدنيا»[٦] ، وعلى هذا المضاف مقدَّر ، وهذا كقوله : ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر :٥٧] .

---

(١) في (أ) : (شجرة) .

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وقد ذكره الماوردي في تفسيره ٥/ ٣٤ عن الكلبي ، والطبرسي في مجمع البيان ٨/ ٦٧٩ عن الكلبي أيضاً ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٢١ عن الحكماء .

(٣) تفسير مقاتل ١٠٩ أ .

(٤) انظر : المرجع السابق .

(٥) في (أ) : زيادة (قوله تعالى) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .

(٦) انظر : المرجع السابق .

ثم أجاب هذا الاستفهام بقوله : ﴿بَلَىٰ﴾ ؛ أي هو قادر على ذلك . ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ : خلقهم في الدنيا ، ويخلقهم في الآخرة خلقاً جديداً . ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ . قال ابن عباس : «بجميع ما خلق»[١] .

ثم ذكر قدرته على إيجاد الشيء فقال : [ ][٢]

٨٢. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ . وهذا كقوله في سورة النحل : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل : ٤٠][٣] الآية ، وقد تقدَّم الكلام فيها .

٨٣. ثم نزَّه فيها نفسه عن قولهم أنه لا يقدر ، فقال : ﴿فَسُبْحَٰنَ﴾ . قال أبو إسحاق : «أي تنزيه من السوء ، ومن أن يوصف بغير القدرة»[٤] . ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ . قال مقاتل : «يعني خلق كل شيء»[٥] . قال عطاء : «ملك كل شيء»[٦] .

وقال الزَّجَّاج : «أي القدرة على كل شيء»[٧] . ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ؛ أي هو يبعثكم بعد موتكم .

---

(١) لم أقف عليه .
(٢) في (أ) : زيادة (قوله تعالى) ، وهي زيادة لا تلزم السياق .
(٣) في النسخ جميعها : (أمرنا) ، وهو خطأ .
(٤) انظر : البسيط (النسخة الأزهرية) ٣/ ١٢٤ ب .
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٦ .
(٦) تفسير مقاتل ١٠٩ أ .
(٧) لم أقف عليه .

وقال عطاء : «يريد مصير عبادي إليَّ»[١] . والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

[والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً][٢] .

* * *

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٦ .

(٢) ما بين المعقوفين غير مثبت في (ب) .